١٢- الفتى النصراني المصري الذي هداه الله إلى الإسلام

قصة الفتى النصراني الذي هداه الله إلى الإسلام من أعجب القصص وأغرب الحكايات... تنطق بالنعمة التي تطوق رقبة كل مسلم... في الزمن الذي تخلى فيه كثير من المسلمين عن تقدير تلك النعمة... وعن توقير حق هذه المكرمة... عسى الله أن يجعل في هذا يقظة لقلوب غافلة... إنها نعمة الإيمان...

الحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله وعلى جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه وسلم وبعد،

بتوفيق الله وبمشيئته سأتحدث عن أسرتي قبل الإسلام وبعد الإسلام وأحب التأكيد على القيمة الكبرى لنعمة الإسلام، فالمسلم الذي يعيش في ظل عقيدة التوحيد يتمتع بنعمة عظيمة منّ الله بها عليه ألا وهي نعمة الإسلام. كان لزامًا على أن أبدأ حديثي بهذا التأكيد قبل أن أقص قصتي.

أسرتي قبل الإسلام:

كانت أسرتي تتكون مني وأختي وأمي وأبي... أربعة أفراد فقط وكانت أسرة نصرانية متدينة تواظب على دروس الكنيسة وتؤدي العبادات النصرانية بانتظام، وكنت أختلف إلى دروس الكنيسة مع أسرتي، وكنت أواظب على أداء الصلوات وكان والدي يعمل في تجارة الحبوب، وكنت منذ صباي ألازمه في متجر الحبوب الذي كان ملكًا للعائلة الكبيرة التي تتكون من الجد والجدة والأعمام والعمات، وكانت لي مكانة مميزة لدى الجد والجدة برغم وجود أبناء العائلة وأولاد الأعمام، وكنت الأثير لديهم.

وكنت سعيدًا بهذه المكانة التي ميزتني عن أفراد العائلة وأبناء العم حتى إن الجد كان يفاخر دائمًا أبناء العم بذكائي ومهارتي في التجارة برغم حداثة سني حينذاك، مما كان يغيظ أبناء أعمامي جدًا، وحتى عمي الذي لم يرزق أولادًا كان يبدي إعجابه بي ويقول:

«إنني أعتبرك مثل ابني، وأنا على يقين بأن والدك لا يعرف قيمتك مثلي» والحمد لله رب العالمين كنت ماهرًا في التجارة، ماهرًا في التعامل مع الناس، حتى اشتهرت بالدقة في الميزان وحسن التعامل مع المشترين، الأمر الذي حببهم في متجرنا وكان لي أسلوبي اللطيف الطيب في المعاملة مما فطرت به ونشأت عليه، والحمد لله كنت بأسلوبي ذلك متمشيًا مع أدب الإسلام الذي جعل الدين المعاملة، والكلمة الطيبة صدقة، والابتسامة في وجوه الناس صدقة، وكنت سعيدًا بهذا التقدير أيما سعادة...

وقد شعر الفتى بتوجه أمه نحو الإسلام وميلها إليه، ونفورها من النصرانية وكان ذلك في شهر رمضان منذ نحو أحد عشر عامًا، فقد وافق صيام شهر رمضان الصيام عند النصارى حيث يفطر المسلمون عند أذان المغرب ويفطر النصارى بالليل عند ظهور نجم معين في السماء، ولاحظ الفتى أن أمه تفطر عند سماع أذان صلاة المغرب فيدهش لذلك من أمه، ويتساءل في نفسه كيف تفطر أمه مع المسلمين، ويستمهلها حتى يظهر النجم كما هو الحال في صيام النصارى فتجيبه بأنها ترى النجم في السماء وقد ظهر!

ويرد الصبي في براءة أين هو؟ إنني لا أراه! فتجيبه بأنها تراه. وتقول له: ولكنك لا تراه وتشير إلى السماء! وأدرك فتانا بعد ذلك أن أمه كانت بسلوكها تتجه نحو الإسلام، وأنها كانت تصوم صوم المسلمين.

موقف آخر يقصه الفتى عن تعلق أمه بدرس التفسير الأسبوعي للشيخ: محمد متولي الشعراوي رَحِمَهُ اللَّهُ فيقول: «لاحظت أن لحديث الشيخ الشعراوي الأسبوعي أثرًا أشبه بالرعد في آذان المتعصبين من النصارى، وساعة الحديث الأسبوعي ساعة نحس عندهم وتمثل عبئًا نفسيًا ومعاناة لهم، بيد أن الأمر كان مختلفًا مع أمي كل الاختلاف حيث كنت أراها تفتح التلفاز وتشاهد درس الشيخ الشعراوي الأسبوعي يوم الجمعة فأسألها دهشًا! ماذا تصنعين؟!

فتجيب قائلة: أتابع هذا الشيخ لأنظر ماذا يقول؟ وأسمعه ربما يخرف! ولم أكن أدري أن ردها عليّ وقتها كان من باب التمويه حتى لا أخبر أبي!

وهناك برنامج آخر كانت تتابعه أمي وهو برنامج (ندوة للرأي) أراها تشاهده فلما أنكر عليها ذلك مستفسرًا ترد قائلة: أشاهد وأسمع لأرى ما يقوله هؤلاء العلماء عن النصرانية والنصارى! فأسمع جوابها دون تعليق... وأواصل مراقبتها، وكانت أمي سمحة المعاملة لطيفة المعشر، وكادت في معاملتها تبدو أقرب للإسلام والمسلمين، حتى أن أحد القساوسة سبّها ذات مرة لأنها حلفت أمامه قائلة: والنبي على طريقة العامة من المسلمين في مصر وكما هو معلوم بأن ذلك لا يجوز شرعًا فسبّها القس ونهرها قائلًا لها: أي نبي ذلك الذي تقصدين؟! وعنفها حتى سالت الدموع من عينها».

يقول الفتى: «ولما فكرت أمي في الإسلام، استدعتني ذات مرة وقالت لي: تعال يا عماد أنت ابني الوحيد ولن أجد أحدًا يسترني غيرك! فقلت لها خيرًا يا أمي، فقالت: أنت ابني الكبير وأنا مهما كانت الأمور وفي كل الأحوال أمك... ومن المستحيل أن تتخلى عني أو ترميني في التهلكة، فقلت لها: نعم يا أمي. فقالت: ماذا تفعل لو أن أهلك قالوا عني كلامًا سيئًا ورموني بتهم باطلة؟! فقلت لها: ولم يفعلون ذلك وهم جميعا يحبونك. قالت: ماذا تفعل لو حاولوا قتلي والتخلص مني؟ فقلت لها: كيف ذلك؟ ولم يحاولون قتلك وهم يحبونك؟!

قالت: ماذا تفعل لو صرت مسلمة؟ هل ستحاربني مثلما الحال مع أبيك وأعمامك وأخوالك وأقاربك؟! فكانت إجابتي لها: الأم هي الأم وأنت أمي في كل الأحوال».

ولكن الفتى دهش لحديث أمه إليه وأوجس في نفسه خيفة، وقوّى ذلك الإحساس لديه كثرة مشاجرة أبيه مع أمه في شأن رغبتها في اعتناق الإسلام وكانت تصارح أباه في هذا، وكان أبوه يغضب من تهديدها بترك النصرانية ويتحداها أن تعتنق الإسلام.

وذات يوم عاد الفتى إلى المنزل قادمًا من مدرسته فلم يجد أمه التي كانت تنتظر مجيئه كل يوم، فأسرع إلى أبيه في متجره يسأله فزعًا عن أمه فيجيبه الوالد بأنها في البيت، ويتساءل الأب في هدوء: أين تراها قد ذهبت؟!

لعلها ذهبت إلى إحدى صديقاتها! فيقول الفتى: إن خزانة ملابسها خالية تمامًا! فصمت الوالد قليلًا وتعجب للأمر وأقسم أنه لم يغضبها، ولم يقع بينهما ما يوجب الخلاف أو الغضب، فجعل يسأل عنها في كل مكان يمكن أن تذهب إليه.... وكانت الصدمة... أنها أسلمت!

أسلمت وأعلنت إسلامها أمام الجهات المسئولة ولن تعود إلى البيت أبدًا... فجن جنون العائلة كلها وفقدت توازنها وصارت تقول في الإسلام والمسلمين كل ما يمكن أن يقال من ألفاظ السباب واللعن والتهديد والوعيد وصار الجميع من أخوال وأعمام فضلًا عن الأب في حالة عصبية انفعالية في الكلام والسلوك إنهم غاضبون من كل شيء ومن أي شيء... إنها الكارثة قد نزلت بهم، وإنه الشؤم قد حل بساحتهم، ويقول الفتى: وكنت أستمع إلى الشتائم توجه إلى أمي من الأقارب والأخوال والأعمام، فمن قائل: إنها كانت تشبه المسلمين في كذا وكذا، وهذا الخال يوجه كلامه إلى قائلًا: انظر كيف تركتكم، وتخلت عنك وعن أختك؟!

انظروا من سوف يرعاكم ويقوم على تربيتكم؟! أما العم فقد كان يقول كلامًا مشابهًا ويقول موجهًا كلامه لي ولأختي:

«ترى لو ذهبت أنت وأختك إليها وتوسلتما إليها وبكيتما بين يديها... هل ترجع إليكم؟! ويواصل العم حديثه إلى قائلًا: اذهب يا عماد: اذهب إليها وابك بين يديها لعلها ترجع إليكم! وكنت أسمع ذلك وأشاهد ما حولي ولا أحير جوابًا فقد كنت أنا أيضًا ضائقًا مما حدث وغير راضٍ وكان العم يذهب إليها في الجهات المختصة ليوقع الإقرار

تلو الإقرار بعدم التعرض لها... وأحيانًا كان يلقاها ويستعطفها كي تعود إلى ولديها لشدة حاجتها إليها، ولكن أمي رفضت بشدة بعدما ذاقت حلاوة الإسلام والإيمان وأسلمت لله رب العالمين وتركتنا وديعة عند من لا تضيع عنده الودائع سبحانه هو خير حافظٍ وهو أرحم الراحمين، وأيقنت أن الله سوف يحرسنا بعينه ويرعانا برعايته. ولم يزل الفتى يتردد على الكنيسة ودروسها ولاسيما درس الثلاثاء وهو درس أسبوعي يهتم بالشباب والمراهقين بخاصة، وبجمهور رواد الكنيسة بعامة وكان درسًا مشهودًا يعرض فيه القس لكل ما يهم المجتمع والدين والسياسة ويقول ما يشاء دون خوفٍ من حسيب أو رقيب خلافًا للحال مع غير النصارى، وخلال درس الثلاثاء ذات مرة تعرض القس لأم الفتى! ويقول الفتى:

«وكنت موجودًا ومعروفًا لجمهور الحاضرين، فقد كنت من عائلة معروفة بارتباطها القوي بالكنيسة»، وخلال المحاضرة نظر القس إلى الفتى وابتسم ابتسامةً خبيثة وصرح معرضًا بأمه موجهًا كلامه لجمهور الحاضرين قائلًا:

«تذكرون فلانة الفلانية «وذكر اسمها» ودون أن يذكر كنيتها «أم عماد» التي أسلمت، أراد المسيح أن يفضحها بعد أن خانت الكنيسة وهي الآن ملقاة في السجن في قضية من قضايا الآداب! وأسقط في يد الفتى وأصبح في حيرة شديدة... هل هذا معقول؟! ويقول في نفسه: أبعد أن تسلم وجهها إلى الله وتجازف بترك دينها ولا تخشى العواقب مهما كانت تدخل السجن؟! واتجهت الأنظار إلى شخصي وصوبت سهامها نحوي وكأنني ارتكبت جرمًا عظيمًا وخرجت من درس ذلك اليوم كاسف البال ولم أعقِّب!!

وبينما كنت في تلك الحال الكئيبة وأنا أسير في الطريق إذا صوت ينادي: (يا عماد يا عماد). إنه صوت أمي تسير قرب منزلنا لترانا على حذر، وقد أرسلتْ من يستدعينا في غفلة من الأهل واقتربت فإذا أمي.... وتنتابني جملة من المشاعر المتضاربة في مزيد من

الرغبة في الانتقام ممن ساعدوها على التعرف على الإسلام واعتناقه وبخاصة زميلاتها اللائي يعملن معها في حقل التمريض وشعور بالشوق والحنين إليها والتقدير لها... إنها أمي.... مهما كانت وحبها كامن في قلبي فأقبلت إليها وسلمت عليها وكانت مع أناس مسلمين لا أعرفهم.... وكانت أمي ترتدي الحجاب ورأيتني أنظر إليها في دهشة وأسألها في براءة ألست مسجونة؟!

فأجابت في دهشة: ماذا تقول يا حبيبي؟! وما معنى: مسجونة؟ هاك العنوان وأرجو أن تزورني، وأعطتني العنوان وانصرفت.

وبرغم حبي لأمي إلا أنني لم أكن مستريحًا لتلك المقابلة وكان قلبي قلقًا ولم يكن اللقاء مفعمًا بالحب وبالعواطف الجياشة نحوها...

وأخذت العنوان وقفلت راجعًا إلى منزلنا أفكر في الأمر وبعد يومين أو ثلاثة عزمتُ على زيارة أمي على عنوانها الجديد في موعد يسبق يوم الثلاثاء اللاحق لموقف القس السابق في درس الكنيسة، وبلغت مسكن الوالدة وشاء الله أن يكون ذلك مع أذان المغرب.... يا سبحان الله.. وأستمع إلى أذان المغرب وكأني أسمعه لأول مرة برغم سماعي له آلاف المرات، ولكن للأذان هذه المرة وقع مغاير تمامًا لما ألفته من قبل.

وتستقبلني أمي أثناء الأذان مرحبةً بي، وأراها وأسمعها تردد الأذان وهي لا تكاد تنتبه لحديثي إليها، وبعد الأذان ذهبت فتطهرت وتوضأت ثم دخلت في صلاتها وجعلت تتلو القرآن في الصلاة بصوت مسموع فكنت لأول مرة أسمع القرآن من أمي، إنها تتلو سورة الإخلاص، وكان لذلك وقع لا يوصف في قلبي وأثر ساحر في نفسي، إن مشاعري في تلك اللحظة لا أقوى على وصفها، فلقد شملني نورٌ ربانيٌ وتملكني شعور غريب تمنيت معه في تلك اللحظة لو جثوت على ركبي وقبلت قدم أمي وهي تصلي، شعرت بشيء ما يغسل قلبي، وداخلني صفاءٌ ونقاءٌ لم أشعر بهما من قبل.

أجل إن شعوري في ذلك اليوم لا يمكن وصفه أو التعبير عنه.... إنه روح جديدة تسري في جسدي وعروقي، أحسست بمدى الظلم الذي وقع على أمي من ذلك القس في درس الثلاثاء الماضي، تمنيت لو خنقته لافترائه على أمي دون وجه حق، لماذا يشوه سيرتها؟! أهذا عدل؟ وهل المسيح أمر بذلك؟!

ولكن الأمر كان عند القوم مختلفًا، إن لديهم قاعدة تقول: «ابحث عن الخروف الضال قبل أن تبحث عن أحد الغرباء ليدخل الكنيسة»، والمعنى أنه يجب أن تبحث عن النصراني الذي ابتعد عن عبادة المسيح قبل أن تبحث عن أحد تغريه بعبادة المسيح، ويواصل الفتى تساؤله:

لماذا يفتري ذلك القس على أمي؟ ويشنع عليها؟

ودخلت في صراع مع نفسي، وبعد الصلاة جاءت أمي بالطعام وعرضت علي أن أتناول الطعام معها، وقالت: هيا لتأكل معي أم أنك تخشى أن تأكل معي؟! وأنظر بعينين تفيضان بالشوق إليها والإكبار لها، وأطالع في وجهها نورًا ونضارةً لم أعهدهما من قبل، إنها أم جديدة غير التي ألفتها من قبل، إنها مختلفةٌ تمامًا... ما هذه الوضاءة التي تنور وجهها؟!! ما الذي حدث؟!

وتمضي تساؤلات الفتى تموج في أعماقه فيما كان يطالع وجه أمه فيقول:

ماذا حدث لأمي.... لقد عشت معها عمري.... ما الذي جد عليها؟!

ما هذا النور الذي يفيض به وجهها؟!

يقول الفتى: وبرغم مشاعري المتناقضة وقتذاك من مشاعر حب الأم وكراهيتها لأنها خانت المسيح بتركها المسيحية (حسب رأيهم)... إلا أني أرى أمي مختلفةً تمامًا أرى في وجهها نورًا وبياضًا وجمالًا لم أعهده في وجهها من قبل... هل هي نضارة الإسلام؟ أم هو نور الإسلام؟... وتناولت معها الطعام وكنا وحدنا لم يشهد هذا اللقاء أحد من

أهلي.... ثم ودعت أمي متوجهًا إلى البيت أعود لأستلقي على سريري وأسترجع أحداث زيارتي لأمي كأنها حلم جميل.... لا أكاد أصدق أن هذا حدث.... ويقترب موعد درس الثلاثاء التالي وأذهب إلى الكنيسة للاستماع إلى محاضرة القس الأسبوعية في يوم الثلاثاء التالي للثلاثاء الذي تعرض فيه لأمي بالتشهير والشتم.

وأعود إلى الكنيسة للاستماع إلى المحاضرة الأسبوعية وفي هذه المرة وخلال المحاضرة تجاوز القس كل الحدود في الإساءة لأمي والتعريض بها وسبها وإهانتها بأقذر الأساليب وبأشنع الافتراءات للدرجة التي زعم فيها أنه تحدث معها في السجن وقد زارها فيه، فأعجبُ لمستوى الكذب والزور والبهتان الذي بلغه القس، وأدهش لمستوى التدني الذي انحدر إليه، وبرغم ما يتمتع به ذلك القس وأمثاله من مكانة روحية كبيرة في نفوس أتباع الكنيسة إلا أني وجدت نفسي لا أحتمل السكوت عليه وعلى وقاحته فاندفعت أصيح في وجهه قائلًا:

كفى إلى هذا الحد من فضلك، وهذا أمر جلل أن يوقف فتى في سن المراهقة مثلي القس المحاضر في الجمهور وهو الأب الروحي للكنيسة وروادها، ويقاطعه فتى بهذه الجرأة وبهذا الأسلوب الغاضب المهين، ويواصل الفتى كلامه الغاضب للقس قائلًا:

انتظر من فضلك... كفى إلى هذا الحد، توقف! أنت كذاب.

وهنا يتدخل جمهور الكنيسة في محاولة للحد من ثورة الفتى وإسكات غضبه يذكرونه بمكانة الرجل ويناشدونه الهدوء والسكوت، ولكن دون جدوى؛ لأن الفتى لم تهدأ ثورته ولم يملك غضبه وواصل إنكاره على القس الذي التفت إليه في محاولة لتهدئته قائلًا: مالك يا عماد؟!... اسكت يا بني.... ماذا بك؟... ماذا في الأمر؟... ويجيبه الفتى: لا. أنت كذاب، ويتوجه إلى جمهور الحاضرين قائلًا:

يا جماعة، أنا كنت عند أمي (وأقسمت لهم بقسم المسيح عندهم) أني كنت عندها وعندما سمعت أمي الأذان قامت فتطهرت وتوضأت وصلت، منتهى النقاء، والله رأيت في وجهها نضارة ويصف الفتى وقع كلماته على الحاضرين فيقول: (لاحظت وجوههم اسودت وكشروا عن أنيابهم عندما سمعوني أتحدث عن أمي بهذه الطريقة وواصلت الحديث قائلًا لهم: والله إن القس لكذاب وأمي ليست في السجن كما يزعم القس، وهاكم العنوان لمن يرغب بزيارتها.... أمي بفضل الله رب العالمين حين سمعتها تقرأ القرآن أمامي كانت تغسلني وتطهرني، فقاطعني القس قائلًا: اسكت يا ولد وإلا سأطردك خارج الكنيسة).

ولكن الفتى لا يسكت، ويواصل هجومه على القس المفتري قائلًا له: دعني أسألك أيها القس، هل تتطهر قبل الصلاة كما يتطهر المسلمون؟! حينئذ جن جنون الحاضرين وتتابعت تهديداتهم وكادوا يفتكون بي فمن قائل: اسكت لقد جاوزت كل حدود الأدب، ومن قائل: أنت تهذي وتخرف. أما القس فقد تغير لونه وارتعشت يداه وظهر على وجهه الاضطراب والهزيمة والفضيحة، فيما يصيح ثالث: هل أجرت لك أمك غسيلًا للمخ؟

وكانت ردودي كأنها الطلقات النارية في وجه القس والمتعاطفين معه، وانفض الموقف وخرجت من الكنيسة باكيًا أكفكف دمعي المنهمر من عيني المحمرتين لطول البكاء والغضب، ولم أجد ما يخفف من وقع محنتي إلا التوجه إلا بيت أحد أصدقائي الأعزاء الذين قويت صداقتي معهم مع مر الأيام فلم أجده في البيت ورأفتْ أمه لحالي التي كنت عليها فرقتْ لحالي، وحزنتْ من أجلي وقالت: منها لله أمك.... هي السبب.... فيما أنت عليه من حزن وأسى.... فلينتقم الله منها!

ولم أكد أسمع كلام هذه المرأة حتى رغبت في الهجوم عليها وخنقها هي وكذلك القس الكذاب ورميتها بعيني كأنهما جذوتان تبعثان بالشرر الحارق وانصرفتُ قافلًا إلى بيتنا حزينًا كئيبًا تنتابني مشاعر شتى أريد أن أذهب إلى أمي وأعتذر لها عما أصابها من افتراء هذا القس الكذاب وأريد أن أعود إلى القس لأشفي غليلي منه أريد أن أهينه.... أشعر بالضيق.... إن روحي تكاد تزهق....

ولكن غالبتُ نفسي وقلت: لعل هذا الغضب في مواجهة القس وذلك التجرؤ عليه وسوسة من الشيطان فلأرجع إلى الإنجيل لعلي أجد فيه السكينة والهداية والهدوء.

ويعاود الفتى قراءة الإنجيل ويوقن بفطرته كما يقول أنه محرف وأن القرآن الكريم هو كتاب الله حقًا، هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فالإنجيل عندما طالعته وجدته كتابًا كأي كتاب يؤلف في سيرة شخص أو عظيم حيث تطالعك أخبار عن المسيح الذي يأكل، والمسيح الذي يشرب، والمسيح الذي يموت، والمسيح الذي يقوم، من الذي يتحدث بهذه الأخبار؟ هل هو الله؟ أو هو المسيح؟!

إن الإنجيل كتاب كأي كتاب يحكي قصة شخص أكل وشرب ونام، وفعل كذا من المعجزات أو له كذا من المعجزات والخوارق، من المتحدث في كل هذا؟ أو من الذي كتب هذه الأخبار بعد وفاة المسيح؟ ولماذا تتعدد الروايات وتختلف وتتناقض أحيانًا بتعدد الأناجيل واختلافها، حتى والمسيح على الصليب كما يزعمون ينادي: (إيلي إيلي لماذا شبقتني؟!).

أي: إلهي إلهي لماذا تركتني وخذلتني؟! لماذا؟ ينادي مَنْ؟ وهو من؟

وكيف يتخلى الأب عن ابنه وهو يستصرخه ويستنصره ويستنجد به؟! أهذا منطق؟!

أسئلة كثيرة رَسمتْ أمامي علامات استفهام كبيرة، وفي هذا أنشأتُ في خطابي للنصارى أقول:

يا عُبَّادَ المسيح...

لي عندكم سؤال....

لا يجيب عنه إلا من وعاه...

كيف مات الإله بصنع قوم؟

فهل هذا إله؟

وعجبًا لقبر يحوي هذا الإله!!

والأعجب منه بطن حواه!!

ثم يخرج من بين الفرج فاتحًا للثدي فاه!!

فهل هذا إله؟؟!!!

وهذه القصيدة مقتبسة من أخرى لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد أصاب الفتى الملل من قراءة الإنجيل كما يحكي لأن قراءته في الإنجيل ضاعفت من حيرته ولم تجب عن أسئلته، ويمضي الفتى قائلًا: ولكن حرصي على الوصول للحقيقة دفعني لمزيد من المراجعة ومعاودة قراءة الإنجيل مرة أخرى حتى انتهيتُ من قراءته لأصل إلى الاطمئنان النفسي والعقلي والروحي فما وجدت إلا المزيد من الإبهام والغموض، فاشتدت حيرتي حتى طالعت في الإنجيل قول السيد المسيح:

(الحق الحق أقول لكم: إن من يتبع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية).

الله أكبر. الله أكبر. إذًا جاءت صريحة وعلى لسان المسيح؛ عبارته تلك التي تؤكد أنه رسول من عند الله، فقوله: (الحق. الحق) قسم وقوله: (إن من يتبع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني) تأكيد على أنه رسول من عند الله وقوله: (فله حياة أبدية) أي له الجنة والحياة الخالدة في الجنة.

obeikandl.com

وتكثر تساؤلات الفتى، فيذهب إلى القس في الكنيسة، ويعرض عليه تساؤلاته واستنتاجاته، ويحار القس ولا يرد عليه جوابًا، فينصرف الفتى عنه وبعد عدة أيام يرسل إلى الفتى بهدية غالية القيمة (من حيث قيمتها المادية) وكانت صليبًا من الذهب الخالص يثبت في سلسلة تعلق في العنق... يقول الفتى: (ولاحظت أنه قد غير من معاملته معي فصار يعاملني برقة ولطف ويشملني بنظرات عطفه وإشفاقه وقربني إليه، وذات مرة فاجأني بقوله في لغة حانية:

(أنا آسف إذ ذكرت أمك بما ذكرتها على تلك الصورة التي ضايقتك، فأنت ابن المسيح، ونحن نحبك، والمسيح يحبك...) ولم أكن أدري أنه يدبر لي بليل ويحفر لي حفرة عميقة، وقال لي في لهجة ودودة: أتمنى لو أرسلت والدك وأرجو أن يأتي في صحبته عمك ويواصل الفتى قائلًا: (وكانت لأبي وعمي مكانة عالية عند القس في الكنيسة حيث كان يستعين بهما في حل مشاكل عائلتنا).

ومضى القس يقول للفتى: «أريد أن تبلغ أباك وعمك أني أريدك في أمر سيسعدك كثيرًا وسيريحك للغاية، ولا تنس أباك الروحي فلانًا الذي يحبك كثيرًا وأنا أحبك وأعتز بك كثيرًا وأرجو أن تقبل أسفي لأني ذكرت أمك بالسوء وسببت لك كل هذا الإزعاج وكل تلك المضايقة، ويصدق الفتى بطيبة وبراءة مقولة القس ولم يكن يدري كما يحكي بأنه كان يدبر له مكيدة وأنه يريد والده وعمه من أجل هذا!

ويعود الفتى إلى والده ويخبره أن الأب فلانا (القس) يريده ومعه عمه بعد قدّاس يوم الجمعة القادم، فأجابه الوالد موافقًا، وفي اليوم المذكور اصطحب الرجلان الوالد والعم الفتى قاصدين الكنيسة والتقيا بالقس في الموعد المحدد، وهناك استقبلهما القس. يقول الفتى: (ولما هممت بالدخول في صحبتهما، استوقفني القس وسألني أن أنتظر خارج الغرفة، لأن الحديث مع الوالد والعم في شأن خاص بك وسيسعدك كثيرًا ويحمل لك مفاجأة سارة).

هكذا خاطب القس الفتى كما حكى ومكثوا في اجتماعهم قرابة الساعة بعدها خرج الوالد والعم ناكسي الرؤوس وسألتهما: ماذا حدث؟ فيجيب الوالد: لا شيء ... كل ما هناك أن الأنبا (فلانا) أرسل في طلبك لتمكث معه وفي صحبتك أختك يومين أو ثلاثة، فقلت: خيرًا ولم أعقب، واستبشرت بتلك الزيارة ؛ لما لذلك الأنبا من مكانة عالية في النفوس (عند النصارى) ولما له من كرامات كما يزعمون في النصرانية الأمر الذي يتمناه كل نصراني وأخبرني الوالد أن الأنبا يريد أن يقدم لك هدية قيمة ويريد أن يسلمها لك بنفسه، وأن تمكث معه وأختك يومين أو ثلاثة داخل الدير في مكان سيعجبك جدًا وستستريح فيه كثيرًا.

فأجبته من فوري بالموافقة السعيدة وسألني أن أتأهب للسفر يوم الاثنين التالي للقاء، فصرت متلهفًا للسفر تواقًا لذاك اللقاء ؛ لما كنت أسمع من معجزات ذلك الأنبا وكراماته كما يزعمون، وكنت أريد أن أرى بعيني ما يزيد يقيني في هذا الرجل (فما راءٍ كمن سمعا).

وفي يوم الاثنين الموعود يلاحظ الفتى أن والده يساعده في إعداد حقيبة السفر ويضع فيها كل الملابس ويعجب من أمر أبيه كيف يضع كل تلك الملابس! ولما سأل والده أجاب عنه بقوله: بعد حين ستعرف كل شيء وصمتَ الفتى ولم يلق بالًا، وانطلقا إلى المطرانية في القاهرة، ويراقب الفتى الموقف عن كثب، فها هو الوالد منهمك في إنهاء بعض الإجراءات ولم يشأ الابن أن يسأل الوالد عن أي شيء مما يرى.... ومن القاهرة انتقل الركب إلى بني سويف حيث (بيت الشمامسة) وهناك تسلمني قس والكلام للفتى وتركني والدي وأوصاني بأختي الصغيرة خيرًا وانصرف.

وفي بيت الشمامسة حيث المقر الجديد للفتى لم تلبث المعاملة أن تغيرت وتتابعت الأوامر الصارمة والتعليمات المشددة أين ملابسك؟ اجلس أقبل.... هذا سريرك الذي

ستنام عليه وهذا مكان حفظ ملابسك، ويسأل الفتى عن أخته فيجيبه المسئول قائلًا: لا دخل لك بها.... ستكون في مكان وهي في مكان آخر.

كان الموقف صعبًا على الفتى.... فالمكان غير مريح كما يقول: إن نظرة واحدة لنظام غرفة النوم تذكرك بعنبر السجن حيث الأسرة ذات الطابقين وكثرة عدد المقيمين في البيت.... ومرت الثلاثة أيام والسبعة والعشرة أيام، والفتى يتساءل في حيرة متى سفري إلى أهلي؟ ومتى أعود لمدينتي؟ وسرعان ما تأتيه الإجابة: انسَ كل شيء ولا تفكر في مدينتك ولا أهلك ولا في العودة إلى بيتك... أنت هنا لن تغادر... نحن نحبك! ألست تحبنا كما نحبك؟! وهل نقصر في خدمتك أو في حقك؟!

الطعام يقدم لك في مواعيد والنوم في مواعيد والدروس في مواعيد وحياتك منظمة، ونحن نحبك ونريدك، فشعرت بالأسى والحزن يعتصرني وكأني في سجن لا إرادة لي فيه ولا حرية ولا اختيار، وجعلوا يعدونني إعدادًا لأصبح شماسًا.... الدروس المتتابعة والتلقين المستمر ولم يكن لي من همٍّ إلا أن أحفظ تعاليم النصرانية ودروس اللاهوت، وأن أردد كل ما يلقى إلى كالببغاء إلى أن بلغت الفترة التي أهلتني لأصبح شماسًا وقد تُوجْتُ في تلك الفترة بوشم الصليب في شعر رأسي بقص مقدمته على هيئة الصليب، وقام بذلك الأنبا وأجازني شماسًا.

وصرتُ منذ تلك اللحظة حائزًا على درجة شماس داخل الهيكل ولم تزل الحياة هنالك تبعث على الملل والسأم.... كنا مجموعة كبيرة من الفتيان في الحجرة نحيا حياة لا جدة فيها ولا طرافة وإنما حياة رتيبة.... دروس مملة تفرض علينا فرضًا وتعاليم المسيحية تصب في رؤوسنا على غير شرح أو إقناع، وليس أمامنا إلا أن نستظهر تلك الدروس وإلا فالعقاب الأليم ينتظرنا فضلًا عن صحبة غير طيبة من الشباب المستهتر وحياة لم آلفها ولم أعتدها، الأمر الذي يناقض تكويني ونفسي وتربيتي مما دعاني للكتابة

إلى أبي أستعطفه وأرجوه أن يأتي ليخرجنا من هذا المكان وأقول له في خطابي: يا والدي، إني أحبك.... حرام عليك! أهكذا تتركنا وتخدعنا وتلقي بنا في هذا المصير.... وأيًا كانت الأحوال فأنا ابنك وأحبك. ويتابع الابن إرسال خطاباته إلى أبيه مستغيثًا مستعطفًا إياه ولكن دون جدوى!

وتزداد معاناة الفتى فيفاجأ بعد معاناته السابقة طيلة ستة أشهر بتقرير من مطرانية بني سويف بترحيله إلى بني مزار في محافظة المنيا إلى مكان يعرف ببيت النعمة وشهرته عند المسلمين (مدرسة الأقباط الإعدادية المشتركة) كما يقول صاحبنا.

ويواصل حديثه عن بيت النعمة فيقول: وهناك في (بيت النعمة) الذي كان في الحقيقة (بيت النقمة) شربت المر ألوانًا وعشت الصبر أشجانًا، وصرت أذكر أيام المعاناة في بني سويف بكل خير، فقد كانت أيامي فيها نعيمًا قياسًا على أيامي التي قضيتها في (بيت النعمة).... والله الذي لا إله غيره كلما ذكرت أيامي في بني مزار في (بيت النعمة) شعرت بآثار السياط تلهب ظهري وترهق كاهلي! لشدة ما كانت عليه العجوز الحيزبون من قسوة في معاملتنا. إذ حرمها الله من كل مسحة جمال ونعتّها بكل ما هو قاسٍ وقبيح.... إنها مخيفة مرعبة، فهي تتعامل مع الشباب بالسياط الحامية، لقد كانت تطاردنا في أرجاء البيت بعصاها الغليظة حتى كان شباب هذا البيت يختبئون تحت الأسرة وخلف الأبواب خوفًا من عقابها ولم يكن غريبًا أن تراقبنا ساعة تناول الطعام وتلاحقنا بأوامرها ولم يكن غريبًا أن تأمر الفرد منا أن ينهض ويترك الطعام دون أن يشبع إذلالًا له وإهانة لكرامته.

أما أختي فقد قصوا لها شعرها وأخبروها أنها ستتزوج قسًا رغمًا عنها عندما تبلغ الخامسة عشرة، وأتساءل في حيرة وضجر إلى متى سأظل على هذا العذاب؟ فتكون الإجابة: إلى أن تموت! ... لن ترى والدك ولا أحد أفراد أسرتك ولا أحبابك إلى أن تموت!

ومضت الشهور كما يقول الفتى شهرًا تلو شهر، وعاودت الكتابة إلى أبي مستجيرًا به أستعطفه لينقذني من هذا الكرب الذي كنت أعيش فيه ولكن دون جدوى مما جعلني أكتب إليه ذات مرة داعيًا عليه، وقلت في رسالتي إليه ذات مرة فلينتقم الله منك! وأصابني المرض والهزال، وبلغ التعب والأرق بي مبلغه وغايته، وكان الوقت يمر ثقيلًا في صحبة فتية مما ساءت أحوالهم واستحقوا التأديب والعقاب من الكنيسة، فمنهم من أسلم أبوه ومنهم من أسلمت أمه ومنهم من هو مطلوب لثأر في الصعيد ويتوافد الزوار على هذا البيت الذي نسكن فيه، ويشاهدون ما نحن عليه من شقاء وعنت، وكأننا مخلوقات عجيبة في حديقة الحيوان، يتسلى الناس بمشاهدتها، ومرت ستة شهور، وأنا في هذا العذاب.

وعاودت الكتابة إلى أبي أتوسل إليه أن يأتي ليشاهدني ولو مرة واحدة، ولم يكن من الممكن أن نفر من هذا البيت ولا سبيل للنجاة من هذا العذاب؛ لأن حراسته كانت شديدة، ولم يكن من الممكن أن ينجح أحد في اقتحام الصعوبات المفروضة للحراسة حتى لو نجح أحد في اختراق الحراسة فإن محاولته غير مأمونة العواقب ويمكن الإمساك به وإعادته مرة أخرى، ليلقى مزيدًا من العذاب ولكن إلحاحي في الكتابة إلى والدي دفعه لزيارتنا وما أن جاء لزيارتنا ورأى الصورة التي كنت عليها من الهزال والضعف وسوء حالي، حتى احتضنني باكيًا، الأمر الذي شجعني على الارتماء في حضنه وتقبيل يديه وقدميه والاستغاثة به، لينقذني من المعاناة التي كنت فيها، حتى إن أختي كانت معي في نفس البيت في الطابق الأعلى ولم أتمكن من رؤيتها طوال مدة وجودي فيه، مما رقق قلب أبي فذهب إلى رئيس البيت، وقال له:

لو سمحت، أريد أن أعود بالولدين: عماد وأخته إن شاء الله وحسبهما هذه المدة التي مكثوها عندكم، فرد المسؤول: لا إن شاء الله لن تأخذهم أبدًا أبدًا أبدًا، فقال له أبي:

ما معنى هذا؟ فأجاب رئيس البيت: لو أخذت الولدين معك إلى مدينتكم سوف يتعلقون بأمهم، وسيسبب هذا لك وللكنيسة إزعاجًا لا داعي له، فأجابه الوالد بنبرة قاطعة: أريد أولادي وإليكم الأوراق المتعلقة بذلك، وأصر والدي على موقفه، فرد المسئول في نبرة تحدٍ: لا. لن نسلمك أولادك (واخبط راسك في الجدار) واصنع ما بدا لك، فرد الوالد قائلًا: إذًا سأخرج من هنا إلى المحافظ وأشكو إليه أمركم وأفضح أمركم على الملأ، فلما وجد المسؤول ذلك الإصرار من والد الفتى رد عليه في غلظة وسلم الفتى وأخته مضطرًا.

يقول الفتى: وفيما نحن في الطريق إلى مدينتنا، سألت والدي عن حال أمي، فقال لي: يا بني، إن أمك قد ماتت إثر حادث صدام بالسيارة، صدمها خالك وقضت نحبها، ويسقط في يد الفتى ويصدم صدمة نفسية عميقة يعاف معها الحياة، إذ ضاق بالحياة ذرعًا بعد فراقها، ويقول لأبيه في تساؤل حزين: إذن لماذا نذهب إلى مدينتنا، عد بنا من حيث أتينا، فما قيمة العودة دون أمل في لقاء أمي والأنس بها؟! وواصلنا المسير حتى بلغنا مدينتنا.

وتمضي الأيام ويعود الفتى وأخته إلى بيت الوالد، ويستأنف الفتى عمله في متجر العائلة مع أبيه، وبعد مضي أربعين يومًا، وبينما كان الفتى في متجر أبيه إذا بصوت سيدة تنادي من جانب قريب: يا عماد يا عماد ويدرك الفتى على الفور بأنه صوت أمه، فيسرع نحوها ويرتمي في أحضانها، ويوقن وقتها بأن أبيه قد أخفى الحقيقة عنه حتى لا يفكر فيها، ولا يعاود الاتصال بها، وتعطيه الأم الحنون عنوانها، ويعود الأمل من جديد، يقول الفتى: وصرتُ أسير حثيثًا نحو النور، وبعد أيام قليلة قمت بزيارتها فرحبت بي وغمرتني بعطفها وحبها وحنانها ورأيت النضارة تعود إلى وجهها من جديد، بعد أن عانت أشد المعاناة في بعدنا عنها، ولما عدت إلى بيت والدي استدعاني أبي وفاتحني في موضوع زواجه من جديد أملًا ألا يسبب هذا الموضوع أي إزعاج لي فوافقته من فوري، ولم أعارضه، وقلت له:

إنها حياتك، وأنت لك التصرف، وسعى أبي لاستخراج التصريح اللازم لهذا الزواج حسب ما يقضي به المذهب الأرثوذكسي، فذهب إلى مطرانية القاهرة لهذا الغرض وهناك رأى عجبًا فمن قائل له: لابد أن تدفع ٢٠٠ جنيه وآخر يطلب ١٥٠ جنيه لعمل تصريح الزواج وثالث يطلب ٧٠ جنيهًا لاستخراج التصريح، ولما حصل الأب على التصريح له بالزواج تعهدته امرأة العم وكانت امرأة متعصبة للنصرانية تعصبًا أعمى تكره الإسلام والمسلمين كراهية شديدة فاختارت له زوجة نصرانية متعصبة للنصرانية أيضًا، ودخل بها وكان فارق السن بينها وبين أبي كبيرًا وصارت معاملتها لنا تسوء يومًا بعد يومٍ، حتى إنها شكتني إلى أبي ذات يوم قائلة له زورًا وبهتانًا: هل تتخيل أن ابنك يرفع يده عليّ؟ فغضب أبي أشد الغضب واشتعلت ثورته فانهال عليّ ضربًا لا رحمة فيه؛ من أجل إرضاء زوجته الصغيرة المدللة مما دفعني للعودة إلى أمي ؛ لأستعير منها بعض الكتب التي تساعدني على التعرف على الإسلام، ونصحتني أمي أن أقرأ بعمقٍ وقالت لي: يا بني، إنك ملم بتعاليم النصرانية، فأنت شماس داخل الهيكل أرجو أن تقرأ القرآن الكريم بعمق وتعاود قراءة الإنجيل وتطالع كتب السيرة ثم تقارن بينها.... ولكنها حذرتني أن يطلع أبي على هذا الأمر... أو تلك الكتب؛ وإلا فسيكون مصيري هو الموت! فلما علم أبي بترددي على أمي وزيارتها استدعاني ذات مرة وجرى بيني وبينه الحوار التالي قائلًا لي: ما الخبر؟ هل عاودت زيارة أمك؟ فأجبته: نعم عاودت زيارتها ؛ لأنتقم منها لأنها خانت المسيح.... فقال لي: كيف ذلك؟ فقلت له: اصبر وسترى، إن الله مع الصابرين، سوف أنتقم منها انتقامًا شديدًا..... ولما تحدثت مع عمي في هذا الأمر وقلت له ما قلت لأبي أعجب بي كثيرًا ورأيته متهللًا وقال لي: أحسنت ومضى يقول:

لقد أخبرني القس في الكنيسة بأنه يتوقع لك مستقبلًا باهرًا. وأنك ستصبح مع الترقي قسيسًا في الكنيسة بعد عدة سنوات، وانتقم يا بني من أمك بالطريقة التي تحلو لك، فسررت كثيرًا لقناعة أبي وعمي بما قلت لهم تبريرًا لزيارة أمي وكان ذلك تمويهًا

وبعثًا للأمان في نفسي ؛ حتى أجد الأمان في البحث عن الحقيقة ومعرفة حقيقة الإسلام وبعد معاناة في البحث والاطلاع والموازنة بين مصادر الإسلام والنصرانية غمرني نور الإسلام وذقت مع مطالعة مصادره حلاوة وطمأنينة، لم أكن أجدها قبل الإسلام. فعدت إلى أمي وفاتحتها في أمر اعتناق الإسلام.

وقد ساعد الفتى في الوصول إلى القناعة التامة بقبول الإسلام دينًا وجود مسجد قريب من منزل أمه الصالحة فكان بتشجيع من والدته يمارس فيه الشعائر الدينية من إقامة الصلاة وقراءة القرآن ومتابعة الأذان، يقول الفتى: (وصدق الله العظيم إذ يقول ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ وكنت أقضي نهاري عند والدتي وأعود للمبيت في بيت أبي) ولما وصل الفتى إلى هذه الدرجة العالية من اليقين بالحق في دين الإسلام وفي شريعته الغراء... قال: (فاتحت أمي في رغبتي في اعتناق الإسلام وترك النصرانية، فوافقتني وهي فرحة، فأعلنت إسلامي على يد أمي أولًا قبل الشروع في اتخاذ الإجراءات الرسمية في إشهار إسلامي، وسمحت لي بأن أتردد على المسجد، لأداء الصلاة، وقد عرف إمام المسجد بقصتي فكان يساعدني في فهم قواعد الإسلام وفقه العبادات ولاسيما فقه الصلاة، وكان وشم الصليب لا يزال واضحًا وجليًا في معظم اليد مما كان يسبب لي حرجًا وعنتًا شديدين لمن لا يعرف قصتي.

ومن المواقف التي تعرض لها عماد للحرج الشديد خلال تردده على المسجد المذكور في حالته التي كان عليها كما يحكي فيقول: هممت بالوضوء من مياه المسجد ذات مرة وكشفت عن ذراعي وفيما أرفعهما أثناء الوضوء إذا جاري المسلم أثناء الوضوء يلمح وشم الصليب في يدي، فقال لي: ماذا تصنع؟ فأجبته ملمحًا: نسأل الله الهداية، فسكت ولم يغضب، وترك مكان الوضوء بجانبي ونأى عني واستكمل وضوءه.

وفي موقف آخر تعرضت لإحراج شديد، حيث أقيمتْ الصلاة وكبر الإمام تكبيرة الإحرام كنت خلف الإمام في الصف الأول وبينما أرفع يدي مع تكبيرة الإحرام إذا بأحد المصلين من العامة يلمح وشم الصليب في يدي فيلتفت نحوي في غضب ويجذبني من ملابسي في قسوة يجرجرني بعيدًا عن صفوف المصلين ويصب عليّ جام غضبه، وتنصبُّ عليَّ شتائمه وتهديداته ويقول لي: (يا دسيسة) جئت تتجسس على المسلمين، وقال ألفاظًا أخرى لا أذكرها مما أحزنني كثيرًا، ولولا يقيني في الإسلام وقد شرح الله صدري إليه لفتنت في ديني، وكان شيخ المسجد يعرف قصتي فلما فرغ من الصلاة عنف الرجل وإن كان الرجل الجاهل قد اعتذر إلى بعد أن أشهرت إسلامي وقال لي: (أنت الآن من أهل الجنة) وكان هدفي من ترددي على المسجد أن أتزود من فقه الإسلام ولأزداد يقينًا على يد الشيخ: حسين أحمد عامر حتى أتمكن من مواجهة شدائد ما بعد إشهار إسلامي رسميًا.

وصارحت والدتي برغبتي في إعلان إسلامي رسميًا فقالت:

أختك من قبلك؛ لأنها ستضيع.... وقد تلاقي عندهم ما تلاقيه من شقاء وعنت إذا أسلمت وتركتها عندهم، مما أشعرني بالخوف على أختي ودفعني لمساعدتها على معرفة الإسلام وفهمه عسى الله أن يشرح صدرها إليه وأن يهديها إلى الدين الحق، دين الإسلام ملة إبراهيم ودين رسل الله وجميع أنبيائه.

وذات يوم تعود الفتاة من الكنيسة وهي تحمل صورة لميلاد المسيح (حسب زعمهم)، وكان عمرها حينذاك لا يجاوز الاثنى عشر ربيعًا فيسألها الفتى الأخ: ماذا تحملين؟

فأجابت هذه صورة للمسيح في مذود البقر، ويعاود الفتى سؤال أخته: وما هذا الذي حول الصورة؟ ومن هذا الذي في الصورة؟ فقالت: ربنا!

ويدهش الفتى، ويواصل السؤال: وما هذا الذي حوله؟

فقالت: بقر وحمار وحيوانات أخرى.

ويسأل سؤالًا آخر: وأين ولد الرب؟ فأجابت: في مذود البقر، فقال: وما معنى مذود البقر؟

فقالت: حظيرة حيوانات.

فيرد الفتى: وهل يليق بالرب والإله أن يولد في حظيرة البهائم؟

فقالت: لا. هذا تواضع منه كما علمتني المعلمة في الكنيسة.

فيعلق الفتى: هل التواضع من إله ولله المثل الأعلى أن يولد في بيت متواضع أم في حظيرة حيوانات قذرة؟

فإذا الأخت تقول: أنا أيضًا غير مقتنعة بهذا المنطق النصراني وراغبة في الإسلام، وما لبثت الفتاة أن أعلنت إسلامها على يد أخيها ونطقت بالشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله) أمامه ثم اتجها إلى الجهات المسؤولة ليعلنا إسلامهما معًا وهناك وجدا أشد المعاناة وتعرضا لاختبارات كثيرة وبلاء شديد حتى سمح لهما باعتناق الإسلام كما يقول: «مناقشات طويلة وضغوط من النصارى وتهديدات وأسئلة في فقه الإسلام وعقيدته، وتمكنا بفضل الله وتوفيقه أن نجتاز الاختبارات بنجاح»، وإن كانت المناقشة قد طالت وأرهقته؛ لأنها كانت شاقة وحادة وطويلة، وقد امتدت فترة المعاناة العقلية والنفسية في رحلة فتانا من الشك إلى اليقين خمس سنوات كانت أصعب سنين عمره وقد صارت حياته بعد إسلامه تفيض بمحبة الإسلام.

يقول الفتى:

(ذات يوم وبعد إسلامي، تقابلت أنا وأحد القساوسة، وكان معه شابان فقال لي القس في سخرية: بعت دينك يا عماد مثل فلان، ويقصد بفلان هذا الرجل الذي باع دمه من أجل الحصول على لقمة العيش فرددت عليه قائلًا: هل تعلم أن البابا تزوج؟

فقال على الفور: البابا لا يتزوج، فقلت: سبحان الله البابا لا يتزوج والإله يتزوج، عجبًا لك تحرم هذا الأمر على البابا وترضاه للإله.

ويمضي الفتى قائلًا: تحدثت مع أحد أفراد الكنيسة قلت له: لماذا قدم المسيح نفسه قربانًا لمغفرة خطيئة آدم ولم يقدم آدم نفسه بدلًا عنها؟!

ولماذا كان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مسؤولًا دون غيره عن خطيئة آدم، ومطالبًا بالتكفير عنها، وأين المسؤولية الفردية؟

أليس ضياعها في المجتمع دليلًا على أنه يحكم بشريعة الغاب؟ ثم أليس من الأعدل أن يحي الله آدم ويأمره بتقديم نفسه قربانًا؟ ولماذا يقدم عيسى نفسه قربانًا بلا سبب وجيه؟

ثم من الذي أحيا المسيح بعد موته؟ هل أحيا نفسه؟ أم أحياه غيره؟

وإن كان هذا عن طيب خاطر فمن ذا الذي كان يصيح ويستغيث على الصليب ويقول: (إيلي إيلي لماذا شبقتني) أي: إلهي إلهي لماذا تركتني؟ سمع محاوري هذا وبعدها فرَّ هاربًا ولم يعقِّبْ).

ويحكي الفتى قائلًا: (تحدثت مع أحد رجال الدين النصراني. قلت له: أين أولادك حتى أسلم عليهم وهذا دون قصد مني؟

فقال: أنا ليس عندي أطفال ولم أنجب، وبنظرة سريعة إلى عينيه المملوءتين بالدموع، استطرد فبدأ حديثه معي قائلًا: الفرد منا يريد أن ينجب طفلًا ليحمل اسمه ويكمل رسالته بعد موته... نظرت في وجهه وقلت: سبحان الله هل الله في حاجة إلى من يحمل اسمه أو يكمل رسالته.

وقرأت عليه قول الله تعالى: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ﴾

(مريم: ٨٨-٩٥)

نقلًا عن كتاب: قصة الفتى النصراني الذي اهتدى... (بتصرف يسير).

١٣- الشماس المصري الدكتور وديع أحمد

الحمد لله على نعمة الإسلام الحمد الله على نعمة الإسلام نعمة كبيرة لا تدانيها نعمة لأنه لم يعد على الأرض من يعبد الله وحده إلا المسلمون.

ولقد مررت برحلة طويلة قاربت ٤٠ عامًا إلى أن هداني الله وسوف أصف لكم مراحل هذه الرحلة من عمري مرحلة مرحلة:

مرحلة الطفولة: (زرع ثمار سوداء).

كان أبى واعظًا في الإسكندرية في جمعية أصدقاء الكتاب المقدس وكانت مهنته التبشير في القرى المحيطة والمناطق الفقيرة لمحاولة جذب فقراء المسلمين إلى المسيحية.

وأصر أبى أن أنضم إلى الشمامسة منذ أن كان عمري ست سنوات وأن أنتظم في دروس مدارس الأحد وهناك يزرعون بذور الحقد السوداء في عقول الأطفال ومنها:

١- المسلمون اغتصبوا مصر من المسيحيين وعذبوا المسيحيين.

٢- المسلم أشد كفرًا من البوذي وعابد البقر.

٣- القرآن ليس كتاب الله ولكن محمد اخترعه.

٤- المسلمون يضطهدون النصارى لكي يتركوا مصر ويهاجروا... وغير ذلك من البذور التي تزرع الحقد الأسود ضد المسلمين في قلوب الأطفال.

وفى هذه الفترة المحرجة كان أبى يتكلم معنا سرا عن انحراف الكنائس عن المسيحية الحقيقية التي تحرم الصور والتماثيل والسجود للبطرك والاعتراف للقساوسة.

مرحلة الشباب: (نضوج ثمار الحقد الأسود).

أصبحت أستاذًا في مدارس الأحد ومعلمًا للشمامسة وكان عمري ١٨ سنة وكان علي أن أحضر دروس الوعظ بالكنيسة والزيارة الدورية للأديرة (خاصة في الصيف) حيث يتم استدعاء متخصصين في مهاجمة الإسلام والنقد اللاذع للقرآن ومحمد ﷺ.

وما يقال في هذه الاجتماعات:

١- القرآن مليء بالمتناقضات (ثم يذكروا نصف آية) مثل (ولا تقربوا الصلاة....).

٢- القرآن مليء بالألفاظ الجنسية ويفسرون كلمة (نكاح) علي أنها الزنا أو اللواط.

٣- يقولون: إنَّ النبي محمد (ﷺ) قد أخذ تعاليم النصرانية من (بحيرى) الراهب ثم حورها و اخترع بها دين الإسلام ثم قتل بحيرى حتى لا يفتضح أمره... ومن هذا الاستهزاء بالقرآن الكريم و محمد (ﷺ) الكثير والكثير..

أسئلة محيرة:

الشباب في هذه الفترة وأنا منهم نسأل القساوسة أسئلة كانت تحيرنا:

شاب مسيحي يسأل:

س: ما رأيك بمحمد ﷺ ؟

ج: القسيس يجاوب: هو إنسان عبقري وذكي.

س: هناك الكثير من العباقرة مثل (أفلاطون، سقراط، حامورابي....)، ولكن لم نجد لهم أتباعًا ودينًا ينتشر بهذه السرعة إلى يومنا هذا؟ لماذا؟!!

ج: يحتار القسيس في الإجابة.

شاب آخر يسأل:

س: ما رأيك في القرآن؟!

ج: كتاب يحتوي علي قصص للأنبياء ويحض الناس علي الفضائل ولكنه مليء بالأخطاء.

س: لماذا تخافون أن نقرأه وتكفرون من يلمسه أو يقرأه؟

ج: يصر القسيس أن من يقرأه كافر دون توضيح السبب!!

يسأل آخر:

س: إذا كان محمد (ﷺ) كاذبًا فلماذا تركه الله ينشر دعوته ٢٣ سنة؟ بل ومازال دينه ينتشر إلى الآن؟ مع أنه مكتوب في كتاب موسي (كتاب أرميا) أن الله وعد بإهلاك كل إنسان يدعي النبوة هو وأسرته في خلال عام؟

ج: يجيب القسيس (لعل الله يريد أن يختبر المسيحيين به).

مواقف محيرة:

١- في عام ١٩٧١ أصدر البطرك «شنودة» قرار بحرمان الراهب روفائيل «راهب دير مينا» من الصلاة، لأنه لم يذكر اسمه في الصلاة، وقد حاول إقناعه الراهب «صموائيل» بالصلاة فإنه يصلي لله وليس للبطرك، ولكنه خاف أن يحرمه البطرك من الجنة أيضًا!! وتساءل الراهب صموائيل هل يجرؤ شيخ الأزهر أن يحرم مسلم من الصلاة؟ مستحيل.

٢- أشد ما كان يحيرني هو معرفتي بتكفير كل طائفة مسيحية للأخرى فسألت القمص (ميتاس روفائيل) أب اعترافي فأكد هذا وإنَّ هذا التكفير نافذ في الأرض والسماء.

فسألته متعجبًا: معني هذا أننا كفار لتكفير بابا روما لنا؟

أجاب: للأسف نعم.

سألته: وباقي الطوائف كفار بسبب تكفير بطرك الإسكندرية لهم؟

أجاب: للأسف نعم.

سألته: وما موقفنا إذا يوم القيامة؟

أجاب: الله يرحمنا!!

بداية الاتجاه نحو الإسلام:

وعندما دخلت الكنيسة ووجدت صورة المسيح وتمثاله يعلو هيكلها فسألت نفسي كيف يكون هذا الضعيف المهان الذي استهزأ به وعذب ربًا و إلهًا؟؟

المفروض أن أعبد رب هذا الضعيف الهارب من بطش اليهود. وتعجبت حين علمت أن التوراة قد لعنت الصليب والمصلوب عليه وأنه نجس وينجس الأرض التي يصلب عليها!! (تثنية ٢١: ٢٢-٢٣).

وفي عام ١٩٨١: كنت كثير الجدل مع جاري المسلم (أحمد محمد الدمرداش حجازي) وذات يوم كلمني عن العدل في الإسلام (في الميراث، في الطلاق، القصاص.....) ثم سألني هل عندكم مثل ذلك؟ أجبت لا... لا يوجد.

وبدأت أسأل نفسي: كيف أتي رجل واحد بكل هذه التشريعات المحكمة والكاملة في العبادات والمعاملات بدون اختلافات؟ وكيف عجزت مليارات اليهود والنصارى عن إثبات أنه مخترع؟!!

obeikandi.com

من عام ١٩٨٢ وحتى ١٩٩٠: وكنت طبيبًا في مستشفي (صدر كوم الشقافة) وكان الدكتور محمد الشاطبي دائم التحدث مع الزملاء عن أحاديث محمد ﷺ وكنت في بداية الأمر أشعر بنار الغيرة، ولكن بعد مرور الوقت أحببت سماع هذه الأحاديث (قليلة الكلام كثيرة المعاني جميلة الألفاظ والسياق) وشعرت وقتها أن هذا الرجل نبي عظيم.

هل كان أبي مسلمًا:

من العوامل الخفية التي أثرت علي هدايتي هي الصدمات التي كنت أكتشفها في أبي ومنها:

١- هجر الكنائس والوعظ والجمعيات التبشيرية تمامًا.

٢- كان يرفض تقبيل أيدي الكهنة (وهذا أمر عظيم عند النصارى).

٣- كان لا يؤمن بالجسد والدم (الخبز والخمر) أي لا يؤمن بتجسيد الإله.

٤- بدلًا من نزوله صباح يوم الجمعة للصلاة أصبح ينام ثم يغتسل وينزل وقت الظهر؟!

٥- ينتحل الأعذار للنزول وقت العصر والعودة متأخرًا وقت العشاء.

٦- أصبح يرفض ذهاب البنات للكوافير.

٧- ألفاظ جديدة أصبح يقولها: «أعوذ بالله من الشيطان»،«لا حول ولا قوة إلا بالله»...

٨- وبعد موت أبي ١٩٨٨ وجدت بالإنجيل الخاص به قصاصات ورق صغيرة يوضح فيها أخطاء

موجودة بالأناجيل وتصحيحها.

٩- وعثرت علي إنجيل جدي (والد أبي) طبعة ١٩٣٠ وفيها توضيح كامل عن التغيرات التي أحدثها النصارى فيه منها تحويل كلمة (يا معلم) و(يا سيد) إلى (يا رب)!!! ليوهموا القاريء أن عبادة المسيح كانت منذ ولادته.

الطريق إلى المسجد:

وبالقرب من عيادتي يوجد مسجد (هدى الإسلام) أقترب منه وأخذت أنظر بداخله فوجدته لا يشبه الكنيسة مطلقا (لا مقاعد - لا رسومات - لا ثريات ضخمة - لا سجاد فخم - لا أدوات موسيقى وإيقاع -لا غناء - لا تصفيق) ووجدت أن العبادة في هذه المساجد هي الركوع والسجود لله فقط، لا فرق بين غنى وفقير يقفون جميعا في صفوف منتظمة ووزانت بين ذلك وعكسه الذي يحدث في الكنائس فكانت الموازنة دائمًا لصالح المساجد.

في رحاب القرآن:

وددت أن أقرأ القرآن واشتريت مصحفًا وتذكرت أن صديقي أحمد الدمرداش قال: إن القرآن ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾ واغتسلت ولم أجد غير ماء بارد وقتها، ثم قرأت القرآن وكنت أخشى أن أجد فيه اختلافات (بعد ما ضاعت ثقتي في التوراة والإنجيل) وقرأت القرآن في يومين، ولكنى لم أجد ما كانوا يعلمونا إياه في الكنيسة عن القرآن.

الأعجب من هذا أن من يكلم محمد ﷺ يخبره أنه سوف يموت؟!! من يجرؤ أن يتكلم هكذا إلا الله؟؟!!

ودعوت الله أن يهديني ويرشدني.

الرؤيا:

وذات يوم غلبني النوم فوضعت المصحف بجواري وقرب الفجر رأيت نورًا في جدار الحجرة وظهر رجلًا وجهه مضيء اقترب منى وأشار إلى المصحف فمددت يدي

لأسلم عليه، لكنه اختفى ووقع في قلبي أن هذا الرجل هو النبي محمد ﷺ يشير إلى أن القرآن هو طريق النور والهداية.

أخيرًا أسلمت وجهي لله:

وسألت أحد المحامين فدلني علي أن أتوجه لمديرية الأمن - قسم الشئون الدينية - ولم أنم تلك الليلة وراودني الشيطان كثيرًا (كيف تترك دين آبائك بهذه السهولة)؟!!

وخرجت في السادسة صباحا ودخلت كنيسة (جرجس وأنطونيوس) وكانت الصلاة قائمة، وكانت الصالة مليئة بالصور والتماثيل للمسيح ومريم والحواريين وآخرين إلى البطرك السابق (كيرلس)، فكلمتهم: (لو أنكم علي حق وتفعلون المعجزات كما كانوا يعلمونا فافعلوا أي شيء.... أي علامة أو إشارة... لأعلم أنني أسير في الطريق الخطأ).

وبالطبع لا إجابة.

وبكيت كثيرًا علي عمر كبير ضاع في عبادة هذه الصور والتماثيل. وبعد البكاء شعرت أنني تطهرت من الوثنية وأنني أسير في الطريق الصحيح طريق عبادة الله حقًا.

وذهبت إلى المديرية وبدأت رحلة طويلة شاقة مع الروتين ومع معاناة مع البيروقراطية وظنون الناس وبعد عشرة شهور تم إشهار إسلامي من الشهر العقاري في أغسطس ١٩٩٢.

اللهم أحيني على الإسلام وتوفني علي الإيمان.

اللهم احفظ ذريتي من بعدي؛ خاشعين، عابدين، يخافون معصيتك ويتقربون بطاعتك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

للدكتور «وديع أحمد» موقع علي شبكة الإنترنت عنوانه:

http://www.wadee٣.٥u.com

١٤- اهتداء عالم الاجتماع الانكليزي «حسين رءوف»

يلاحظ المتتبع لحركة انتشار العقيدة الإسلامية، في الدول الأوروبية والأمريكية، أن نسبة كبيرة من الذين استجابوا لدعوتها في هذه الدول، من علماء الاجتماع، والعاملين في مجالات الإصلاح الاجتماعي وذلك لما تتطلبه الدراسات التي يتناولها أولئك العلماء والمصلحون الاجتماعيون من تعرض دائم للعقائد والمذاهب الاجتماعية، وخاصة من حيث تأثيرها في المجتمعات، وقدرتها على معالجة المشكلات التي تعرض للأفراد والجماعات والإسهام في تخفيف حدتها، والارتقاء بالقيم والسلوكيات الاجتماعية.

وفي معرض هذه الدراسات التي تستخدم فيها طريقة التحليل، وأسلوب الموازنة والمقارنة تتجلى أهداف الإسلام السامية، وفضائله الكبرى فتجتذب النفوس العاقلة، وتتفتح لها القلوب الواعية. وكان «حسين رءوف» واحدًا من الاجتماعيين الإنكليز، الذين درسوا الأديان والمذاهب الاجتماعية المختلفة، دراسة متأنية متعمقة فبهرته عظمة الإسلام، وسمو أهدافه ومبادئه، وقدرته الخارقة على مواجهة المتاعب والمشكلات التي يعانيها الأفراد والمجتمعات، وملاءمته العجيبة لمختلف البيئات والحضارات على تباينها واختلافها.

وكان طبيعيًا أن يبادر إلى اعتناق هذا الدين الحنيف، والدعوة بكل طاقته إليه، وتبصير مواطنيه بمبادئه وأهدافه، وتفنيد ما يوجهه إليه أعداؤه كذبًا وبهتانًا من تُهَم باطلة.

وقد بدأ «رءوف» بدراسة عقيدتي أبويه... وكان أحدهما مسيحيًا والآخر يهوديًّا... ثم انتقل إلى دراسة العقيدة الهندوسية، وفلسفتها، وخاصة تعاليمها الحديثة عند «يوبانيشادو فيدانتا»... ثم درس العقيدة البوذية، مع موازنتها ببعض المذاهب اليونانية القديمة. كما درس بعض النظريات والمذاهب الاجتماعية الحديثة، وخاصة أفكار الفيلسوف الروسي «ليوتولستوي».

ومن العجيب حقًا أن اهتمامه بدراسة الإسلام جاءت متأخرة، بالنسبة للأديان والعقائد الأخرى، برغم إقامته في بعض البلاد العربية... وكان أول تعرّف له عليه خلال قراءاته لترجمة للقرآن الكريم وضعها «رودويل» إلا أنه لم يتأثر بها، لأنها لم تكن ترجمة أمينة صادقة، وكان شأنها في ذلك شأن كثير من الترجمات المماثلة التي يشوبها الجهل أو الأغراض العدائية والتي صدرت بعدة لغات أجنبية.

غير أنه لحسن حظه التقى بأحد الدعاة -المثقفين- إلى الإسلام، الذين يتقدون حماسًا له، وإخلاصًا في تبليغه للناس، فقام بتعريفه ببعض حقائق الإسلام، وأرشده إلى إحدى النسخ المترجمة لمعاني القرآن الكريم، ترجمها أحد العلماء المسلمين، وأضاف إليها تفسيرًا واضحًا مقنعًا بُني على المنطق والعقل، فضلًا عن توضيح المعاني الحقيقية التي تعجز عن إبرازها اللغة الإنكليزية...

كما أرشده إلى بعض الكتب الإسلامية الأخرى التي تتسم بالصدق والبرهان الساطع... فأتاح له كل ذلك أن يُكوّن فكرة مبدئية عن حقيقة الإسلام قد أثارت رغبته في الاستزادة من المعرفة به وبمبادئه وأهدافه عن طريق المصادر العلمية غير المغرضة.

وقد أكدت صلاته ببعض الجماعات الإسلامية، ودراسة لأحوالهم عن كثب، ومدى تأثير الإسلام في سلوكهم وروابطهم، فكرته المبدئية عن عظمة الإسلام، فآمن به كل الإيمان...

تعالوا معنا نستمتع بما قاله في وصفه لتلك التجربة التي شجعته على اعتناق هذا الدين الحنيف:

«ذات يوم من عام ١٩٤٥ دُعيت لمشاهدة صلاة العيد، وتناول الطعام بعد الصلاة، فكان في ذلك مناسبة طيبة لأرى عن كثب ذلك الحشد العالمي من مختلف بلاد العالم، ومختلف الطبقات الاجتماعية، ومن مختلف الألوان... هناك قابلت أميرًا تركيًا

وإلى جواره كثير من المعدمين، جلسوا جميعًا لتناول الطعام معًا، لا تلمح في وجوه الأغنياء امتعاضًا أو تظاهرًا كاذبًا بالمساواة، كذلك الذي يبدو على الرجل الأبيض في حديثه إلى جاره الأسود، ولا ترى بينهم من يعتزل الجماعة أو ينتحي فيها ركنًا قصيًا، كما لا تلمح بينهم ذلك الشعور الطبقي السخيف الذي يمكن أن يتخفى وراء أستار مزيفة من المساواة».

ثم استطرد يقول:

«ليس هناك مجال لشرح كل أمور الحياة التي وجدت في شرائع الإسلام من حلول، لم أجده في غيره، ويكفي أن أقول إنني بعد تفكير وتدبر رأيتني أهتدي إلى الإيمان بهذا الدين، بعد دراستي لجميع الأديان الأخرى المعروفة في العالم، بدون أن أقتنع بأي واحد منها».

ثم مضى في بيان سبب إسلامه، فقال:

«قد بينتُ فيما ذكرت، لماذا أصبحت مسلمًا، ولكن ذلك لا يكفي مطلقًا لبيان دواعي فخري واعتزازي بذلك، فإن هذا الشعور نما وازداد مع مرور الزمن وازدياد تجاربي... فقد درست الحضارة الإسلامية في جامعة إنكليزية، وأدركت لأول مرة أنها وبكل تأكيد هي التي أخرجت أوروبا من العصور المظلمة واستقرأت التاريخ، فرأيت أن كثيرًا من الإمبراطوريات العظيمة كانت إسلامية، وأن كثيرًا من العلوم الحديثة، يعود الفضل فيها إلى الإسلام.

ولما جاء بعض الناس ليقول لي: «إني باعتناقي للإسلام أكون قد سلكتُ طريق التخلف، ابتسمت سخرية لجهلهم، وخلطهم بين المقدمات والنتائج».

ثم تساءل قائلًا:

«هل يجوز للعالم أن يحكم على الإسلام بمقتضى ما أصابه من انحلال لظروف خارجة عنه؟... وهل يجوز الحط من قيمة الفن العظيم الذي صاحب عصر النهضة الأوروبية، بسبب اللوحات الممسوخة في أرجاء المعمورة في أيامنا هذه؟... حسبنا أن نعلم أن أعظم العقول وأكثرها تقدمًا في جميع العصور كانت كلها تنظر بكل تقدير إلى الثقافة الإسلامية، التي لا تزال أكثر لآلئها مكنوزة لم يتوصل الغرب بعد إليها».

ثم أشاد بأخلاق المسلمين الحقيقيين وكرمهم، وقدرة الإسلام على علاج مشكلة التفاوت الاجتماعي بقوله:

«لقد سافرت إلى أقطار كثيرة في أنحاء المعمورة، وأُتيحت لي الفرصة لأرى كيف يستقبل الغريب في كل مكان، وأن أعرف كيف يكون إكرامه أول ما يخطر على البال.. وكيف يكون التصرف معه؟... وعن الفائدة التي قد تأتي من مساعدته، فلم أجد من غير المسلمين من يدانيهم في إكرام الغريب والعطف عليه من غير مقابل».

١٥- المفكر الانكليزي «مارتن لنجز» وقصة انتقاله إلى النور

كان يدين بالمسيحية شأن أسرته التي لا تعرف عن الدين شيئًا إلا أنها مسيحية بالوراثة... وهكذا نشأ هو خالي النفس من أية عقيدة يؤمن بها حق الإيمان... ولكن بدأت سمات نضجه الفكري تتضح بعد حصوله على شهادة الـ «AB» في الآداب الإنكليزية حيث كان يدرس الأدب الإنكليزي في جامعة «أكسفورد» إنكلترا.. فقد أخذ ينقب في كتب التراث عن الديانات المنتشرة في العالم ليقرأ عنها جميعًا، فاستوقفه دين الإسلام كشريعة لها منهاج يتفق مع المنطق والعقل، وآداب تستسيغها النفس والوجدان، فاستشعر حينئذ أنه قد وجد نفسه مع هذا الدين الذي يتفق مع فطرة الإنسان حيث يعبر عن ذلك بقوله:

«لقد وجَدتُ في الإسلام ذاتي التي افتقدتها طوال حياتي، وأحسست وقتها أني إنسان لأول مرة، فهو دين يرجع بالإنسان إلى طبيعته حيث يتفق مع فطرة الإنسان».

ثم أردف قائلًا وقد أنارت الابتسامة وجهه:

«شاء الله لي أن أكون مسلمًا، وعندما يشاء الله فلا رَادَّ لقضائه... وهذا هو سبب إسلامي أولًا وقبل كل شيء».

ويذكر أنه قد أشهر إسلامه على يد شيخ جزائري اسمه الشيخ «أحمد العلوي»، التقى به في سويسرا التي كان يعمل بها مدرسًا، بعدها قام بتغيير اسمه من «مارتن لنجز» إلى اسم «أبي بكر سراج الدين».

ثم ماذا...؟ هل هناك أسباب أو دوافع أخرى وراء اعتناقه الإسلام؟.. يهز برأسه ويرد قائلًا: نعم... إن ما أثر عليَّ وجعلني أهتم بالإسلام هو كتب مؤلف كبير كان مثلي اعتنق الإسلام وأصبح من قمم المتصوفة، إنه الشيخ «عبد الواحد يحيى».. لقد تأثرت بكتبه التي صنفها عن الإسلام، حتى أنني لم أقرأ كتبًا من قبل في مثل عظمة كُتُبِه، مما دفعني لأن أسعى لمقابلة مَن كان سببًا في إسلامي، فجئت إلى مصر حيث كان يعيش فيها وقتئذ».

ثم يضيف فيقول: «لقد استفدت منه كثيرًا.. فقد كان بحق عالمًا عاملًا بعلمه.. وأكثر ما تعلمته منه الزهد في الدنيا وهو ما تسمونه أنتم «التصوف».

هل أنت متصوف؟ سؤالا يُطرح عليه ليجيب عنه بقوله:

«نعم... ولكن مفهومي للتصوف أنه ليس انعزالًا عن الدنيا، ولكنه أخذٌ بأسباب الحياة في الظاهر، والإعراض عنها بالقلب».

ثم يصمت برهة ليوضح بعدها ما يعنيه فيقول: «إن الرسول محمد ﷺ لخص معنى التصوف كله في حديثه الشريف: «**كُن في الدُّنيا كأنَّك غَريبٌ أو عابر سبيل**»..

أو ما قاله في حديث شريف آخر: «**إنَّما أنا والدنيا كَراكب استظل تحت شجرة ثمَّ راح وتركها**».

هذا هو مفهوم التصوف الذي تعلمته من الشيخ عبد الواحد يحيى».

ولكن إلى أي شيء قَادَك التصوف؟.. سؤال آخر يُطرح عليه ليجيب عنه أيضًا على الفور في تحمس المتيقن بالإيمان:

«إلى العبودية الخالصة لله».

هذا هو المفكر البريطاني المسلم الدكتور «أبو بكر سراج الدين» الذي كان يدين بغير الإسلام، ثم هداه الله للحنيفية السمحاء، فاعتنق الإسلام عن اقتناع تام... ثم علا بإيمانه فزهد في الدنيا، وأصبح متصوفًا في مجتمعات تموج بالفتن وإغراء الملذات... وتفرغ للدعوة إلى الله في بلاده، يحدوه الإيمان العميق بأن المستقبل للإسلام الذي هو الدين الحق المرسل لكل بقاع الأرض.

١٦- مايكل وُلفي سيكتر... كاتب أمريكي

من أم مسيحية وأب يهودي يعتنق الإسلام

مايكل وُلفي: «أمضيت في مراكش فترة لتعلم مناسك الحج وكان المسلمون هناك كرماء معي».

كانت الرحلة الإيمانية التي قادت الكاتب الأميركي مايكل وُلفي سيكتر إلى اعتناق الإسلام مختلفة عن الرحلات الإيمانية التي اصطحبناها في ملف «المسلمون الجدد» إذ إن صاحبنا الذي نتابع رحلته الإيمانية اليوم تمثلت فيه الديانات السماوية الثلاث، فأمه مسيحية ووالده يهودي وهو مسلم. فهكذا سنصطحب اليوم سيكتر في رحلته الإيمانية لنتأمل تشعباتها وطرقها المختلفة. وكان سيكتر الكاتب الأميركي يعلم أنه مهما أوتي من قوة لا يستطيع الوصول إلى الكعبة المشرفة بمكة المكرمة إذا لم يعتنق الإسلام لأن المسجد

الحرام يحرم دخوله لغير المسلمين. فكان قراره بعد اعتناقه الإسلام الذهاب إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج وهي ركن من أركان الإسلام الخمسة، ومنها أيضًا مشاهدة الكعبة المشرفة التي يتوجه إليها أكثر من مليار مسلم خمس مرات في اليوم لأداء فرض صلواتهم المكتوبة. ولما كان يعلم سيكتر باستحالة ذهابه إلى زيارة الكعبة بمكة المكرمة قبل إسلامه، فإن إسلامه قد وفر له سانحة تحقيق حلمه القديم.

من هنا كتب سيكتر كتابًا عن رحلته الإيمانية إلى الحج سماه «الحج إلى مكة» باللغة الإنكليزية وصف فيه هذه الرحلة وصفا دقيقا. واستعرض فيه كافة الجوانب المهمة المتعلقة بشعائر الحج.

يصف مايكل وُلفي في كتابه: «الحج إلى مكة» تمثيل عملية دخول ريتشارد بيرتون خلسة داخل الكعبة في وسط المسجد الحرام بمكة المكرمة بأنه يظل عملا بطوليا وشجاعا، لأنه عرض نفسه للخطر إذ لو اكتشف المسلمون خداعه لقتلوه.

ولكن مايكل وُلفي ليس في حاجة إلى أن يتنكر أو يتخفى عند دخول المسجد الحرام والطواف حول الكعبة المشرفة، لأنه مسلم مخلص لإسلامه كغيره من المسلمين في هذه المدينة المقدسة.

التخلي عن المسيحية واليهودية:

وتخلى مايكل وُلفي عن دين أمه المسيحي وعن دين والده اليهودي من أجل اعتناق الدين الإسلامي. فقد صده عن المسيحية الغموض والسرية التي يحيطها القساوسة بالمسيح عليه السلام كما صده عن اليهودية خاصية الدين باليهود. فهكذا وجد أن الإسلام أكثر وضوحا وأرحب دين، فهو دين الله لكل الناس. لذا اختار مايكل وُلفي دينا له مرجعية محددة، هي كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وإن كتاب الله ليس فيه تعارض مع المنهج العلمي في محاولة توضيح الخلق والكون.

الإرث الروحي:

وقال مايكل وُلفي أنه عندما أخبر أحد أصدقائه العرب بإرثه الروحي، حيث إنه ورث المسيحية من أمه واليهودية من والده، ومن ثم اختار هو اعتناق الإسلام. فقال له صديقه العربي متعجبًا: «أنت جمعت كل شيء، يقصد أنه جمع الأديان السماوية الثلاث في شخصه، مما جعله يتظاهر بالاحتشام والتواضع».

وأضاف مايكل وُلفي: إنني أوضحت لسنوات طويلة بأنني شخص عادي. وإنني شخص ورث من أمه ووالده ديانتين سماويتين، فوجد أن المشكلة ليست مع موسى أو مع عيسى عليهما السلام. وأن حياتي ببساطة وصلت إلى أقصى مداها مع هاتين الديانتين، وهناك صوت حقيقي ظل يناديني إلى تغيير ديني، وحريص على هدايتي.

رحلة الحج:

ويذهب مايكل وُلفي إلى أنه بعد اعتناقه الإسلام بدأ يفكر جديا في تأدية الركن الخامس من أركان الإسلام، وهو حج البيت لمن استطاع إليه سبيلا. وهذا الركن يأتي بعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان. لذا قررت الحج إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة. وبدأت أستعد للسفر إلى مكة المكرمة وأغادر منزلي في كاليفورنيا.

ولم يسافر مايكل وُلفي مباشرة من كاليفورنيا إلى المملكة العربية السعودية، فكان الجزء الأول من كتابه «رحلة إلى الحج» وصفا لابتهاجه وتهليله وسط المغاربة قبل الانضمام إلى فوج الحج المغربي. وفي مراكش بدأ إجراءات الاستعداد للحج وفقا لتعاليم دينه الجديد.

وقال مايكل وُلفي: أمضيت في مراكش فترة أتعلم مناسك الحج. وكانت معاملة المسلمين لي طيبة للغاية وعطوفة. كما أنهم كانوا كرماء معي.

دخول المسجد الحرام:

وعندما دخل مايكل وُلفي المسجد الحرام لأول مرة مع نحو ٣٠٠ ألف مسلم حاج في وقت واحد لأداء طواف القدوم لم يشعر بشيء سوى رهبة الموقف.

وقال: رغم وجود هذا العدد الكبير فإن هدوءًا ساد المكان ولم أشعر بتدافع أو ازدحام. كما أنه قدم في كتابه وصفا لهذا المشهد الرائع. وكان منتشيًا بهذه الأجواء الروحانية العالية أثناء الحج.

كما أن مايكل وُلفي تطرق في كتابه هذا إلى وصف العمران والتوسعة التي شهدها المسجد الحرام لاستقبال هذه الإعداد المتزايدة من ضيوف الرحمن.

وحرص مايكل وُلفي على تقديم وصف دقيق للكعبة المشرفة والمسجد الحرام والمشاعر المقدسة ليعطي صورة متكاملة عن البيت العتيق لغير المسلمين، فلذلك أكثر من الوصف والرسم لشرح تفصيلي لبيت الله الحرام وبتركيز على الكعبة المشرفة وطواف الأشواط السبعة حولها. ولكنه كان يتمنى لو أتيح له رؤية الكعبة من الداخل.

كانت هذه الرحلة الإيمانية إلى الحج بمثابة أمنية لمايكل وُلفي طال انتظارها وتحققت بعد إسلامه، الذي يرى أنه جاء بعد دراسة عميقة، خاصة أنه لم يكن يعاني من خواء روحي، بل إنه كان يعاني من زخم إرث روحي قاده إلى التفكير الجدي الذي في نهاية المطاف أدى إلى اعتناقه الدين الإسلامي بعد دراسة وموازنة بين الدين الإسلامي والديانات الأخرى، فاطمأن قلبه للإيمان وتحققت تشوقاته لزيارة بيت الله الحرام.

إعداد: إمام محمد إمام، بتصرف يسير.

١٧- القسيس السابق «بنيامين كلداني» عبد الأحد داود

اسمه/ هو دافيد بنجامين الكلداني، كان قسيسًا للروم من طائفة الكلدان، وبعد إسلامه تسمى بعبد الأحد داود.

مولده / ولد عام ١٨٦٨م، في أروميا من بلاد فارس، وتلقى تعليمه الابتدائي في تلك المدينة، وبين عامي ١٨٨٦ - ١٨٨٩م كان أحد موظفي التعليم في إرسالية أساقفة «كانتر بوري» المبعوثة إلى النصارى النسطوريين في بلدته، وفي عام ١٨٩٢م أرسل إلى روما حيث تلقى تدريبا منتظما في الدراسات الفلسفية واللاهوتية في كلية «بروبوغاندافيد»، وفي عام ١٨٩٥م تم ترسيمه كاهنا، وفي هذه الفترة شارك في كتابة سلسلة من المقالات التي تم نشرها في بعض الصحف المتخصصة، وبعد عودته من روما توقف في إستانبول عام ١٨٩٥م وأسهم في كتابة ونشر بعض المقالات عن الكنائس الشرقية في الصحف اليومية الإنكليزية والفرنسية.

لم يمكث طويلا في إستانبول، بل عاد في نفس العام إلى بلدته، وانضم إلى إرسالية «لازارست» الفرنسية، ونشر لأول مرة في تاريخ الإرسالية منشورات فصلية دورية باللغة السريانية، وبعد ذلك بعامين انتدب من قبل اثنين من رؤساء أساقفة الطائفة الكلدانية في بلده لتمثيل الكاثوليك الشرقيين في مؤتمر «القربان المقدس» الذي عقد في مدينة «باري لو مونيال «في فرنسا، وفي عام ١٨٩٨م عاد إلى قريته» ديجالا وافتتح مدرسة بالمجان.

وفي عام ١٨٩٩م أرسلته السلطات الكنسية إلى سالماس، لتحمل المسئولية، حيث يوجد نزاعات بين بعض القياديين النصارى هناك، وفي عام ١٩٠٠م ألقى موعظة بليغة شهيرة، حضرها جمع غفير من طائفته وغيرها، وكان موضوعها:

(عصر جديد ورجال جدد) انتقد فيها تواني بني قومه عن واجبهم الدعوي.

ما هي دوافع إسلامه؟!

يحدثنا عبد الأحد داود نفسه في كتبه عن هذه الدوافع، ومنها:

١- عناية الله به، إذ يقول لما سئل: كيف صرت مسلمًا؟

كتب: إن اهتدائي للإسلام لا يمكن أن يعزى لأي سبب سوى عناية الله - عز وجل - بي، وبدون هداية الله فإن كل القراءات والأبحاث، ومختلف الجهود التي تبذل للوصول إلى الحقيقة لن تكون مجدية، واللحظة التي آمنت بها بوحدانية الله، وبنبيه الكريم صلوات الله عليه، أصبحت نقطة تحولي نحو السلوك النموذجي المؤمن).

٢- ومن الأسباب التي ذكرها أيضًا والتي جعلته يعلن عصيانه على الكنيسة، أنها تطلب منه أن يؤمن بالشفاعة بين الله وبين خلقه في عدد من الأمور، كالشفاعة للخلاص من الجحيم، وكافتقار البشر إلى الشفيع المطلق بصورة مطلقة، وأن هذا الشفيع إله تام وإنسان تام، وأن رهبان الكنيسة أيضا شفعاء مطلقون، كما تأمره الكنيسة بالتوسل إلى شفعاء لا يمكن حصرهم.

٣- من واقع دراسته لعقيدة الصلب وجد أن القرآن ينكرها والإنجيل المتداول يثبتها، وكلاهما في الأصل من مصدر واحد، فمن الطبيعي ألا يكون بينهما اختلاف، ولكن وقع بينهما الاختلاف والتضاد، فلا بد من الحكم على أحدهما بالتحريف، فاستمر في بحثه وتحقيقه لهذه المسألة حتى توصل إلى الحقيقة، حيث يقول:

«ولقد كانت نتيجة تتبعاتي وتحقيقي أن اقتنعت وأيقنت أن قصة قتل المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ وصلبه ثم قيامه من بين الأموات قصة خرافية».

٤- اعتقاد النصارى بالتثليث، وادعاؤهم أن الصفة تسبق الموصوف كان أحد الأسباب التي دعته للخروج من المسيحية.

٥- التقى بعدد من العلماء المسلمين وبعد مواجهات عديدة معهم اقتنع بالإسلام واعتنقه.

٦- اعتزل الدنيا في منزله شهرًا كاملًا، يعيد قراءة الكتب المقدسة بلغاتها القديمة وبنصوصها الأصلية مرة بعد مرة، ويدرسها دراسة متعمقة موازنة ضمّن بعضها في

كتابه الفذ «محمد في الكتاب المقدس» وأخيرًا اعتنق الإسلام في مدينة استانبول ومن مؤلفاته «الإنجيل والصليب».

يقول عبد الأحد داود: «في اللحظة التي آمنت فيها بوحدانية الله،وبنبيه الكريم - صلوات الله عليه -، بدأت نقطة تحولي نحو السلوك النموذجي المؤمن».

«لا إله إلا الله محمد رسول الله» هذه العقيدة سوف تظل عقيدة كل مؤمن حقيقي بالله حتى يوم الدين... وأنا مقتنع بأن السبيل الوحيد لفهم معنى الكتاب المقدس وروحه، هو دراسته من وجهة النظر الإسلامية».

المصدر: «محمد في الكتاب المقدس» عبد الأحد داود (ص:١٦٢) «عظماء ومفكرون يعتنقون الإسلام» محمد طماشي.

١٨- السفير الألماني في المغرب سابقًا د. «مراد هوفمان»

ألماني نال شهادة دكتور في القانون من جامعة «هارفرد»، وشغل منصب سفير ألمانيا في المغرب.

في مقتبل عمره تعرض هوفمان لحادث مرور مروّع، فقال له الجرّاح بعد أن أنهى إسعافه: «إن مثل هذا الحادث لا ينجو منه في الواقع أحد، وإن الله يدّخر لك يا عزيزي شيئًا خاصًا جدًا»(١).

وصدّق القدر حدس هذا الطبيب إذ اعتنق د. «هوفمان» الإسلام بعد دراسة عميقة له، وبعد معاشرته لأخلاق المسلمين الطيبة في المغرب...

---

(١) (الطريق إلى مكة) مراد هوفمان (٥٥).

ولما أشهر إسلامه حاربته الصحافة الألمانية محاربة ضارية، وحتى أمه لما أرسل إليها رسالة أشاحت عنها وقالت: «ليبق عند العرب[١]»!!

قال لي صاحبي أراك غريبًا ... بين هذا الأنام دون خليلِ

قلت: كلا، بل الأنامُ غريبٌ ... أنا في عالمي وهذي سبيلي[٢]

ولكن هوفمان لم يكترث بكل هذا، يقول: «عندما تعرضت لحملة طعن وتجريح شرسة في وسائل الإعلام بسبب إسلامي، لم يستطع بعض أصدقائي أن يفهموا عدم اكتراثي بهذه الحملة، وكان يمكن لهم العثور على التفسير في هذه الآية: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٣].

وبعد إسلامه، ابتدأ د. هوفمان مسيرة التأليف ومن مؤلفاته، كتاب «يوميات مسلم ألماني»، و«الإسلام عام ألفين» و«الطريق إلى مكة» وكتاب «الإسلام كبديل» الذي أحدث ضجة كبيرة في ألمانيا.

يتحدث د. هوفمان عن التوازن الكامل والدقيق بين المادة والروح في الإسلام فيقول: «ما الآخرة إلا جزاء العمل في الدنيا، ومن هنا جاء الاهتمام في الدنيا، فالقرآن يلهم المسلم الدعاء للدنيا، وليس الآخرة فقط: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ وحتى آداب الطعام والزيارة تجد لها نصيبًا في الشرع الإسلامي»[٤].

---

(١) مجلة (المجلة) العدد ٣٦٦، مقال (هل حان الوقت لكي نشهد إسلامًا أوروبيًّا؟) للمفكر فهمي هويدي.

(٢) البيتان للشاعر الدكتور عبد الوهاب عزام (ديوان المثاني) (ص:٣٤).

(٣) (الطريق إلى مكة) مراد هوفمان ص (٤٩).

(٤) (الإسلام كبديل) مراد هوفمان ص (٥٥١١٥).

ويعلل د. مراد ظاهرة سرعة انتشار الإسلام في العالم، رغم ضعف الجهود المبذولة في الدعوة إليه بقوله: «إن الانتشار العفوي للإسلام هو سمة من سماته على مر التاريخ، وذلك لأنه دين الفطرة المنزّل على قلب المصطفى ﷺ»[١].

«الإسلام دين شامل وقادر على المواجهة، وله تميزه في جعل التعليم فريضة، والعلم عبادة... وإن صمود الإسلام ورفضه الانسحاب من مسرح الأحداث، عُدَّ في جانب كثير من الغربيين خروجًا عن سياق الزمن والتاريخ، بل عدّوه إهانة بالغة للغرب!!»[٢].

ويتعجب هوفمان من إنسانية الغربيين المنافقة فيكتب: «في عيد الأضحى ينظر العالم الغربي إلى تضحية المسلمين بحيوان على أنه عمل وحشي، وذلك على الرغم من أن الغربي ما يزال حتى الآن يسمي صلاته (قربانًا)! وما يزال يتأمل في يوم الجمعة الحزينة لأن الرب (ضَحَّى) بابنه من أجلنا!!»[٣].

موعد الإسلام الانتصار:

«لا تستبعد أن يعاود الشرق قيادة العالم حضاريًا، فما زالت مقولة: «يأتي النور من الشرق» صالحة...»[٤].

«إن الله سيعيننا إذا غيرنا ما بأنفسنا، ليس بإصلاح الإسلام، ولكن بإصلاح موقفنا وأفعالنا تجاه الإسلام...»[٥].

---

(١) (يوميات مسلم ألماني) مراد هوفمان.

(٢) «الطريق إلى مكة» (ص:١٤٨)

(٣) «الطريق إلى مكة» (ص:٩٢).

(٤) «الإسلام كبديل» (ص:١٣٦).

(٥) «الإسلام عام ٢٠٠٠» (ص:١٢).

وكما نصحنا المفكر محمد أسد، يزجي د. هوفمان نصيحة للمسلمين ليعاودوا الإمساك بمقود الحضارة بثقة واعتزاز بهذا الدين، يقول:

«إذا ما أراد المسلمون حوارًا حقيقيًا مع الغرب، عليهم أن يثبتوا وجودهم وتأثيرهم، وأن يُحيوا فريضة الجهاد، وأن يكفوا عن الأسلوب الاعتذاري والتبريري عند مخاطبة الغرب، فالإسلام هو الحل الوحيد للخروج من الهاوية التي تردّى الغرب فيها، وهو الخيار الوحيد للمجتمعات الغربية في القرن الحادي والعشرين[١]».

«الإسلام هو الحياة البديلة بمشروع أبدي لا يبلى ولا تنقضي صلاحيته، وإذا رآه البعض قديمًا فهو أيضًا حديث ومستقبليّ لا يحدّه زمان ولا مكان، فالإسلام ليس موجة فكرية ولا موضة، ويمكنه الانتظار».

المراجع: كاتب المقال: د. عبد المعطي الدالاتي.

وهذا جزء من كتابه «الإسلام كبديل» بعنوان «الدين الكامل»:

«يعزو المبشرون المسيحيون انتشار الإسلام السريع في غرب إفريقيا والسنغال والكاميرون وساحل العاج إلى أسباب، منها بساطة تعاليمه وخلوها من التصورات الغيبية الغامضة المعقدة.

وإذا كان هذا صحيحًا، فلا محالة إذن أيضًا أن يكفي فصل واحد من هذا الكتاب لتصوير هذا الدين.

ولكي يكون المرء مسلمًا، فلا بد من توافر شرطين اثنين فيه:

الشرط الأول- الإيمان بإله واحد، مع تنزيهه عن الجنس، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، آثاره الملموسة في العالم تدل على وجوده.

---

(١) مجلة (الكويت) العدد (١٧٤).

الشرط الثاني- الإيمان بما أنزله الله من الوحي، كما هو متجلّ في الحنيفية البيضاء من إبراهيم إلى محمد ﷺ.

إن المسلمين يؤمنون بوجود الله، لأن وجوده ثابت لهم بثبوت وجود الوجود أو العالم، إذ لكل معلول علة ولكل وجود مُوجِد أوجده، وهذه حقيقة أولية جلية حادثة فعلًا، رغم إدراك المسلمين أن النظر العلمي لا يطمئن إلى البرهنة بواسطة المحسوس الماديّ، على الغيبي غير المادي المحجوب، خاصةً لمعرفتهم أن المنطق البشري ليست لديه الصلاحية المطلقة للتحقق والتثبت وإصدار القول الفصل في مسائل الغيب هذه.

في الشطر الأول من الشهادة التي ينطق بها المسلم عن اعتقادٍ يؤكد إيمانه بالله بقوله: «أشهد أن لا إله إلا الله»، وننبه تنبيهًا إلى أن المسلم لا يَشهدُ اللهَ... وإنما يشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، فينزّه الله تعالى عن الصاحبة والولد والشريك والتثليث وكل شكل من أشكال الشرك بالله، وفقًا لسورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ (الإخلاص).

مع هذا يعتبر المسلمون الموحدون، من وجهة النظر الفلسفية لنظرية المعرفة «لا أدريين» إذا تناول البحث ذات الله وطبيعته وكنهه سبحانه وأفعاله وما هو فيه من شأن، فهذه مسائلُ لا يخوض فيها المسلم، أي إنه فيها «لا أدريّ» وقصارى الجهد أن يجيب لاجئًا إلى تعريفات سالبة أي تقوم على النفي، فتنفي عن الله كذا وكذا، مثلًا: الله ليس محدودًا ببداية أو نهاية، أو مثل: يستحيل كونه غير موجود.

كذلك يعتقد المسلم أنه لا يمكنه أن يهتدي لولا هدايةُ الله، إذا تُرِكَ للطبيعة وحدها يستهديها لذا يؤمن بضرورة الوحي لمعرفة الهُدى من الضلال، والحقُّ في جانب المسلم استنادًا إلى دراستنا لقوانين الطبيعة.

ثم إن المسلمين يؤمنون أن الله بَيّن لعبيده حقًّا طريق الهدى، وذلك عن طريق أنبياء التوحيد المرسلين، مثل إبراهيم وموسى وعيسى، وختم الله هذه الرسالات بالقرآن (هدًى للناس) والذي نَزّلَهُ على محمد خاتم النبيين والمرسلين، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ (الأحزاب:٤٨).

لهذا يؤكد الشطر الثاني من الشهادة أن محمدًا رسول الله، وهذا الشطر لازم كل اللزوم لإتمام الشهادة، أما ختم شيء أو أمرٍ فمعناه، عند الحديث عن الوحي، أنه تم واكتمل.

هذا الكمال والإتمام لم يكن متوافرًا قبل محمد، بالرغم من إبلاغ موسى لرسالة الله، وبالرغم من إبلاغ عيسى كذلك، فبقيت الحاجة بعد عهدهما ماسة إلى الإكمال، وكانت هناك إمكانية في عهد الرسول لتحقيق ذلك الإكمال.

أما الحاجة إلى الإكمال والتقويم، فلزمت لخروج اليهود والنصارى على الطريق المستقيم، في اعتقاد المسلمين، فاليهود زعموا أن بينهم وبين الله عهدًا، فهم شعبه المختار، (الذي لن تمسه النار إلا أيامًا معدودة)، والنصارى فقد زعموا أن عيسى ابنُ الله المماثلُ له في طبيعته الإلهية.

أما اليوم، فتصف كلمة مسلم الإنسانَ الذي يلتمس سلامته بإسلامه أموره لله، ويجد هذه السلامة في هدى القرآن الذي يبين له حدود الله، والذي يحوي غير المنسوخ من الكتب السماوية السابقة على الإسلام.

هكذا يلتزم المسلم الحق بالوصايا العشر الواردة في التوراة، وبالإيثار وحب الآخرين الذي ألحّ عليه وأوصى به الإنجيل (في العهد الجديد)، وهو بعد ذلك يؤمن بالأصول الست التي يؤمن بها اليهودي والمسيحي الملتزمان، وذلك كما بيّنها القرآن لنا

في سورتي (البَقَرَة :٢٨٥)، و(النِّسَاء :١٣٦)

١- وجود الله.

٢- وجود مخلوقات غير مرئية لنا (الملائكة).

٣- نزول كتب سماوية على بعض الأنبياء.

٤- إرسال الله رسله وأنبياءه إلى الأمم.

٥- القيامة والبعث يوم الحساب.

٦- القضاء والقدر.

بعد ذلك ينفرد الإسلام بأنماط سلوكية تتمثل في الفرائض والعبادات، وقواعد الإسلام الخمس إلى جانب الشهادة:

١- شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

٢- إقامة الصلاة (الصلوات المفروضة).

٣- إيتاء الزكاة.

٤- صوم رمضان.

٥- حج البيت من استطاع إليه سبيلًا.

الإسلام يلحّ على الإيمان والعمل معًا، كما في سورة العصر المكية: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ (العَصْر).

فقد يخطئ المسلم فيذنب، دون أن يطعن هذا في كونه مسلمًا، أما تارك الصلاة، الذي يقطع صلته بالله، فليس من اليسير اعتباره مسلمًا، فالصلاة المفروضة لا بد من أدائها، أما الأدعية والصلوات غير المفروضة (السنّة) فليست بفرض يحاسب المسلم على

تركه، إنها تَقَرُّب إلى الله بذكره كثيرًا وتسبيحه بكرة وأصيلًا، (ونحن نعلم كيف كان الرسول يتهجد ويقوم الليل، نصفه أو ثلثه...).

والمسلم يؤمن أن القرآن كلام الله، وأنه ليس مخلوقًا من المخلوقات، وأن الله أوحاه إلى محمد ﷺ بلسان عربي مبين في تلك الفترة الزمنية المحددة، وهو معجزة الإسلام الخالدة، والدليل القاطع والبرهان الساطع على نبوة محمد ﷺ.

ليس القرآن إذن كالعهد القديم أو الجديد، حيث يَقُصُّ فيهما شخص ما حديثًا غير مباشر عن شخص أو شيء أو عن الله... أما القرآن، فإن الذي يقص أحسَنَ القَصَص هو الله مباشرةً - سبحانه -، يُخبر الله فيه عمّن يشاء أو عمّا يشاء، كما يُعلّمنا أن ننزّهه عن الجنس والنظير والشبيه... فيخبر عن نفسه بضمير المفرد المتكلم، وضمير المتكلم الجمع، وضمير الغائب المفرد، لكي نظل واعين بمسألة تَنزُّهه - سبحانه - عن التجسيد أو التشخيص.

ومع أن القرآن لا يمكن ترجمته دون فقد جانب مهم من المعنى، يكفي سببًا لذلك طبيعة اللغة العربية ذاتها، والقادرة على صياغة جمله خبرية غير مرتبطة بالتقسيم الزمني الذي نعرفه وغير خاضعة له، وبسبب ثراء نظمه المتساوق المترابط المحكم، فقد أصبح الكتاب الوحيد الذي تعددت ترجماته في لغة واحدة، أكثر من أي كتاب مترجم في العالم، وجاوزت طبعاته أعلى رقم لأي كتاب مترجم في تاريخ الطباعة، فضلًا عن أنه الكتاب الوحيد الذي يحفظه عن ظهر قلب مئات الآلاف من مختلف الأجناس (حتى من غير الناطقين بالعربية).

بل إن لغته العربية أصبحت حبلًا يعتصم به أكثر من مليار مسلم في العالم الإسلامي وحده: فتجد أن نحوه وتراكيبه اللغوية وألفاظه ومشتقاتِها أسدت للّغة العربية الكثير، فأصبحت اللغة الوحيدة، التي يستطيع الناطقون بها، المتوسطو الثقافة،

أن يقرءوا نصوصها التي يزيد عمرها عن ألف وأربعمائة عام، دون الحاجة إلى ترجمتها إلى «لغة عربية حديثة».

إن فهم القرآن فهمًا سليمًا يتطلب الإحاطة بأشياء، منها: قراءة تفاسيره لمعرفة أسباب النزول، أو مناسبة السياق والملابسات المتعلقة بالنص مباشرة، والإطار العام غير المنفصل عن الآيات المراد فهمها.

مع ذلك يلزم الانتباه الشديد إلى طبيعة التفسير والمفسر، ووجهات النظر الذي يحتفل بها، فهناك اختلافات تمليها المذاهب والمشارب والثقافة والغاية، فتفاسير الشيعة قد تخالف تفاسير السنّة، كذلك تفاسير الفقهاء المنصرفة إلى المعاني الحرفية، والظاهرة، وتفاسير أهل الباطن، وتفاسير الصوفية، غير تفاسير العقلانيين، ولا بد كذلك من الالتفات إلى عصر التفسير، فالطبري الذي عاش في القرن التاسع يختلف عن محمد أسد المولود في القرن العشرين.

ثم إن البَصَرَ بالسُنّة والحديث لازمٌ أشدّ اللزوم، فما كان النبي ﷺ ينطق عن الهوى، فأقواله وأفعاله وإثباته لقولٍ أو فعلٍ أو إنكاره لهما، على درجة كبيرة من الأهمية لفهم الإسلام والقرآن. لقد كان محمد الإنسانُ الرجلُ بشرًا، بلغ من استواء الشخصية والشفافية والصفاء والأمانة، والوعي والفطنة أعلى مقام.

ثم إنه كان موهوبًا آتاه الله الحكمة والنبوة وجوامع الكلم، ولا أدل على استواء شخصيته، وتوافر تلك الصفات في شخصه الكريم، من شكّه شخصيًا أن يكون الإنسانَ المختارَ المكلفَ بأداء الأمانة وإبلاغ الرسالة على أكمل وجه، كما أمره الله... ولقد عَلِمنا أن القرآن يراه المثل الأعلى البشري أو القدوة الحسنة، أو كما وصفه ربه:

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (الأحزاب: ٢١)، فأمر بطاعته، والسير على سنّته.

لا ضير إذن أن نرى المقتدين بسنّته ﷺ يسعون جاهدين إلى التزام هذه السنّة حتى في المظاهر الخارجية (فيقصّون الشوارب ويَعفُون اللحى، ويستعملون السّواك، ويفضّلون العسل... وغير ذلك من المعروف عن طباع الرسول في سيرته)، كذلك حرصهم على الختان الذي لم يذكره القرآن، فقد عرفه إبراهيم وذكره العهد القديم، والمسلمون، مهما كان مذهبهم، متبعون لهذه السنّة الحميدة.

الفروق بين المسلم والمسيحي كما أراها:

١- يعيش المسلم في عالمه الذي لا يوجد فيه نظام القساوسة الكاثوليك الإكليريكي (الإكليروس) ولا نظام التدرج الوظيفي في مراتب القساوسة الصارم، ولا يتخذ وسيطًا أو شفيعًا مهما علا قدره عند الصلاة أو الدعاء، بينما يتوسل المسيحي بعيسى ومريم أو الروح القدس أو غير ذلك من القديسين عندما يتضرع أو يبتهل أو يصلي... هذه البيئة أقرب إلى طبيعة الإنسان الراشد العاقل من المناخ المألوف في الكنيستين البيزنطية والكاثوليكية، والذي يقوم على شعائر دينية وأسرار «كهنوتية» يباشرها رجل الدين المسيحي، لينال الماثل أمامه المسيحي بركاتِ الرب.

٢- يحرص الإسلام على السلامة العامة لكافة أفراد المجتمع، وذلك بتحريمه المطلق للحم الخنزير، والخمور والمسكرات، والمخدرات أيًا كان نوعها، ويلح في الوقت نفسه على المسؤولية التامة لمن يسيء تعاطي العقاقير السامة أو نحوها من مواد الإدمان بدلًا من استخدامها في التداوي من الأمراض وشؤون الطب المشروعة. كذلك، فإن الانتظام في أداء الصلوات المفروضة، في مواقيتها المشروعة، في خشوع وتأمل، يتيح تخفيف حدة التوتر والإجهاد اليومي، فيعود ذلك بالخير على الفرد والمجتمع، وهذا لا يتأتّى بأداء قدّاس الأحد أو بابتهال الصباح القصير سواء كان المبتهل وحده أو مع جماعة من المبتهلين المسيحيين.

٣- يبيح الإسلام العلاقة الجنسية المشروعة بين الرجل والمرأة، ويوصي بها ليتمتع الإنسان، الذكر والأنثى بممارسة هذا الحق الطبيعي، وبدون تحفظ على العكس من التصوير «الشيطاني» للعلاقة الجنسية المشروعة بين الرجل والمرأة في كتابات «بولس الرسول «الواردة بالإنجيل الحالي»، والتي تشين الزواج افتراءً وتمدحُ العزوبية، داعيةً إلى الرهبانية، والتي تتسبب للكاثوليك في كثير من الآلام والمعاناة، والعقد الجنسية، والشعور بالذنب وغير ذلك من المشكلات... هذا الحظر وتشويه النظرة إلى الجنس تسببا كذلك في رد الفعل الرافض لرسالة بولس الرسول بشأن الجن والذي يبدو واضحًا في الانحلال الخلقي والإباحية الجنسية التي لا ترعوي مكتسحةً العالم الغربي، ولا ينساق الإسلام خلف الغرب في التردي في هذه الوهدة الوخيمة العواقب.

٤- إن وصية المسيحية أن يحب الإنسانُ الغير كحبه لنفسه عسيرٌ التزامها، بل إن المسيحي العادي لا يستطيع أن يلتزم بها، بل إنها عبء ثقيل عليه ينوء ضميره بِحمله، تمامًا كالعبء الذي يرزح تحته المسيحي المؤمن الذي عليه أن يلتزم بنظرة بولس الرسول للجنس.

تحت هذه الأعباء النفسية تقوى لدى المسيحي الناحية السلبية بما لها من عواقب نفسية وخيمة للتعاليم المعروفة مثل الخطيئة الأصلية الموروثة، ويمكن استغلال هذه الناحية استغلالًا سيئًا يتلاعب بأحاسيس الجماهير بإشعارها بالذنب واستحقاقها تحمل العقاب أو التكفير.

على العكس من هذا نجد الإسلام يتبع الصراط المستقيم، الصراط الوسط، الذي ليس من اليسير أداء بعض فرائضه (مثل صلاة الفجر والصوم) لكن أداء هذه الفرائض وأمثالها، في حدود الإمكان البشري المعتاد. فضلًا عن ذلك لا يكتب الإسلام على المسلم أو حتى يعلمه أن عليه أن يعتبر نفسه مذنبًا يتحمل الخطيئة الأصلية، وأن عليه التماس الخلاص الذي ينجيه. إن علم النفس الجمعي يَعرِفُ العواقب التي يمكن أن تنشأ عن